كوردستان العراق

آراء ومواجهات إعلامية

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كوردستان العراق

ص.ب رقم: ١

www.araspublisher.com

كوردستان العراق

آراء ومواجهات إعلامية

بقلم:

فوزي الأتروشي

اسم الكتاب: كوردستان العراق- آراء ومواجهات إعلامية
مقالات للصحفي: فوزي الأتروشي
من منشورات ئاراس رقم: ١٢٥
التصحيح والتصميم: عبدالرزاق عبدالله
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: رەهيل رشيد+ دلاور صادق
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
عدد النسخ: ١٠٠٠
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - اربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٢٠٠٢/٦٥

على هامش ندوة لندن لحقوق الإنسان في العراق :
خارطة لوعي الذات ومستلزمات التغيير

على الرغم من أن حالة حقوق الإنسان في العراق ينبغي أن تكون الاوضح على الاطلاق لدى الاوساط الإقليمية والدولية السياسية والحقوقية كافة. سواء منها المعنية عن كثب بالشأن العراقي وملفه، أو المهتمة اجمالا بوضع وكرامة الإنسان، الا أن هذه الحالة تبقى لجملة إعتبارات عاجزة عن اختراق المواقف واجتذابها كاملة لصالح الشعب العراقي الذي يظل هو الضحية الاكبر.

ويعزى ذلك في جانب منه الى أن التكوينات السياسية العراقية المعارضة عجزت على الدوام عن الإتفاق على قواسم الحد الادنى في العمل والتعامل مع بعضها البعض وصولا الى الاجماع الذي يوفر للمعارضة مساراً وهوية ووضوحا في الرؤية وإنسجاما في اتجاه بوصلتها نحو الاوساط المختلفة المتعاملة مع الوضع العراقي.

وحتى مؤتمر (نيويورك) الذي عقد اصلا للمّ الشمل بعد كل الإنكسارات التي المت بالجسم العراقي المعارض، اصبح هو الآخر ونتائجه في مهب الريح، وخارطته السياسية تجزأت مجددا في انفاق التعارضات القانونية المتعلقة بالمواقف السياسية والآيديولوجيات والنسب في هذه اللجنة أو تلك المنبثقة عن المؤتمر.

والى جانب ذلك فان النظام نجح في إنجاز اختراقات على أكثر من جبهة.

الحصار سياسة التجويع

ففي الداخل استغل وما زال الحصار كأداة لزيادة تجويع الشعب العراقي ودفعه الى حافة الهاوية اقتصادياً ومعيشياً واقناعه بتحميل مأساته على مشجب المجتمع الدولي فقط، وعربيا استطاع النظام اقامة جسور مع أكثر من دولة وجهة عربية للدفاع عن العراق-الدولة تحت ذريعة درء خطر التقسيم عنه، هذا الخطر الذي اصبح بعبعاً تتخذه الدول الإقليمية والعربية سبباً لإتباع سياسة النعامة تجاه النظام العراقي، رغم هالة المبالغة والتهويل التي اضفاها الأخير على هذا الموضوع كسبا للمزيد من التعاطف، واذا ادركنا أن اغلب الأنظمة العربية بعيدة- مع الفارق طبعا- عن التطبيقات السليمة لحقوق الإنسان ارتباطا ببنيتها الدكتاتورية الشمولية بإعتبارها هي الأخرى جاءت فرضا لا إنتخابا، فلا غرابة اذن في انها تتغاضى عن الكثير من التقارير الحقوقية التي تصدر تباعا عن الحالة الكارثية لحقوق الإنسان العراقي.

اما دوليا فقد وظف النظام طاقاته كليا لزيادة حدة التناقضات بين أعضاء مجلس الأمن واختراق مواقفه، وهاهو المجلس يفشل في إعادة (ايكيوس) مجدداً الى العراق بعد معارضته من قبل ثلاثة من الأعضاء الدائمين لمجلس الأمن.

ازاء كل هذه الأختراقات تظل المعارضة العراقية مراوحة ومشتتة سياسياً ومهمشة علاقاتيا ومتناقضة المنابر اعلاميا.

وهي -أي المعارضة- اذ لم تنسجم سياسياً وايديولوجيا فانها تبعا لذلك تعثرت في طرق عرض اكداس من المعلومات المتعلقة بحالة الإنتهاكات الفظة لحقوق الإنسان في العراق على الوسط الدولي الرسمي والشعبي ونعني هنا أن قنوات تسلل المعلومات للمتلقين تعددت بل وأحياناً تنافرت ما خلق حالة من التشتت في هذا المجال الحيوي.

تفعيل العمل الوطني

لذلك فان الندوة العلمية التي انعقدت في لندن يومي ٢٢-٢٣/١/٢٠٠٠ بعنوان (التثقيف والتوعية بحقوق الإنسان كاستراتيجية لتحقيق العدالة في العراق) والتي التأمت بدعوة من منظمة (التحالف من اجل حقوق الإنسان) وبالتنسيق مع كلية الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن، جاءت لتحريك وتفعيل هذا الجانب الهام من العمل الوطني العراقي المعارض الذي انتابته الشروخ بفعل تشرذم الأطراف على خنادق ايديولوجية متباينة.

فالندوة التي تحدث فيها شخصيات بارزة مثل النائبة البريطانية (ايما نيكلسن) القريبة إلى حد التماس من نبض معاناة الإنسان العراقي، و(اللورد ايڤبري) الرئيس السابق للجنة حقوق الإنسان في مجلس العموم البريطاني، وشخصيات عراقية كردية وعربية،وتلقى رسائل تضامن من السيدة (دانيال ميتران) و(ماكس ڤان ديرشتويل)، تمخضت عن جملة من التوصيات هدفها استحداث طرق اضافية لكيفية التداول والتعامل مع ملف حقوق الإنسان في العراق، وآليات قراءته واستعراضه للاخرين بشكل أكثر حضارية وفاعلية وتأثيرا، وركزت الندوة - بحق - على مهمة ايجاد تواصل وتنسيق بين المنظمات الحقوقية داخل الساحة العراقية المعارضة وبين مثيلاتها الاجنبية العاملة ضمن هذا الحقل.

ضعف الصف الوطني

فبيت القصيد هو اننا أن لم نتحد في الموقف السياسي فلنتحد إنسانيا على بساط الموقف من ماساة الإنسان العراقي الحياتية، لكي نحصل على تضامن في مستوى

الطموح وهذا يعني ميدانيا أن نستحدث اطاراً ومظلة حقوقية تتعايش داخلها كل المنظمات المعنية بحقوق الإنسان العراقي وان لا تتوزع هذه المنظمات على عدد الوان الأحزاب العراقية المعارضة.

ان عناوين مثل (حلبجه) و(عمليات الأنفال) والقتل الجماعي وتغييب القانون والقضاء تماما لصالح الرغبوية المطلقة المتحكمة بالحياة القانونية والقضائية في العراق، وغيرها المئات من عناوين التنكيل والإضطهاد داخل الوطن ينبغي أن تجد لها منفذا واحدا متفقا عليه تنساب منه إلى كل المتعاطفين مع الشعب العراقي لأنه المحور الذي نتحد حوله ولا يجوز أن نختلف عليه.

دانيال ميتران

كانت السيدة دانيال ميتران قوية وصادقة في نبرتها التي تضمنتها رسالتها إلى الندوة حين عبرت كعادتها عن دعمها وتضامنها مع معاناة الشعب العراقي وأهمية التوعية والتثقيت بمغزى ودلالات حقوق الإنسان.

وجاء في رسالتها"لقد زرت كوردستان العراق في عام ١٩٩٢ لاعلن عن دعمي للديمقراطية الفتية المبنية على النظام البرلماني ومشاركة الكل في القرار والمسؤولية بهدف جلب السلام والرخاء للمنطقة التي كانت في الماضي ضحية حروب مستمرة بالاسلحة الفتاكة".

ولاجدال أن السيدة ميتران التي جعلت من همومنا جزءً من همومها الخاصة، ومعها كل المتضامنين مع القضية العراقية سيكونون في وضع افضل للدفاع عن الشعب العراقي والتخفيف من ماساته ومعاناته، فيما لو استطعنا تنسيق العمل والاتجاه كجهة واحدة إلى العالم في سياق ملف حقوق الإنسان وهذا اضعف الايمان فيما لو لم نبلغ وربما لن نبلغ، هدف التوحيد السياسي الشامل للمعارضة العراقية.

***

اوروبا ليست الجنة الموعودة

خقبات ١٩٩٩/٢/١٩

بقلم: نهوزى انروشى

حلم النزوح الى أوروبا قديم لما لهذه القارة من تميز وخصوصية بحكم ديمقراطيتها الحية التي تنساب الى النسيج المجتمعي على هيئة مفردات تطبيقية عملية وليس مجرد شعار نظري، ولما تتمتع به هذه البقعة من المعمورة من هامش رحب للحرية الفردية واطار

واسع لحقوق الإنسان وفق الإعلان العالمي، وانتعاش إقتصادي وفرص عمل وعيش كريم.

هذه هي الصورة العالقة بذاكرة الجميع وهي التي دعت وتدعو سنويا مئات الآلاف للالتجاء الى أوروبا هربا من بؤر التوتر والاحتقان والحرب الاهلية، وايضاً من الكوارث الطبيعية، ومالى ذلك من الأسباب التي تحتم الرحيل الى ملجأ أكثر امانا بالاستفادة من إتفاقية جنيف لشؤون اللاجئين التي تجد في الإضطهاد الديني والسياسي والاثني علة للجوء.

ووفق احصاءات الجهات المعنية يوجد حاليا أكثر من(١٨) مليون إنسان في العالم مهجرون أو مهاجرون من مناطقهم الاصلية لشتى الدواعي والأسباب.

ولكن يمكن القول انه منذ عقد الثمانينات بدأت هذه الصورة المشوقة عن أوروبا تهتز وتزداد فيها الشروخ، فمن جهة تعالت الاصوات اليمينية في مختلف الدول الأوروبية لتحجيم اللجوء السياسي وفرض القيود المشددة عليه وتقليص اطار حقوق اللاجيء، مثلما اصبحت البرامج الإنتخابية لعدد من الأحزاب تتضمن علنا هذه البنود انطلاقا من فكرة أن هذا التدفق المبرر أحياناً وغير المبرر أحيانا كثيرة من اللاجئين يستولي على حق المواطن الأوروبي في فرص العمل والسكن، في وقت تعاني معظم هذه الدول من نسبة عالية من البطالة.

والى ذلك فان اللجوء نفسه خرج عن اطاره الإنساني السياسي القانوني الدولي واصبح في كثير من الأحيان تجارة دولية يستفيد منها حفنة من التجار من مهربي البشر عبر الحدود، وثمة امثلة لاحصر لها لسوء إستخدام حق اللجوء يشوه الامر على اللاجئين المستحقين، لذلك تبذل منظمات حقوقية وخيرية جهودا حثيثه لمنع ظاهرة التعميم والتفريق بين اللاجئين الحقيقيين وبين اخرين يوظفون حق اللجوء لمآربهم الذاتية.

كان لابد من سوق هذه التوطئة، لكي نقترب من الصورة أكثر ونصل الى تفاصيل الحالة الكوردية ازاء محنة اللجوء، فالشعب الكوردي المجزء على ارض وطنه بقي محاصرا ومغبونا ثقافيا وسياسيا وإقتصاديا، لذا كان نزوح ابناء هذا الشعب الى مواطن أخرى امرا مشروعا ومستساغا بقدر مشروعية الحق الكوردي وقضيته التحررية المحاطة بالاسلاك الشائكة في كل مكان وزمان.

ولكن مع استحداث المنطقة الآمنة في كوردستان العراق استنادا الى القرار ٦٨٨ والذي اعتبر تغييرا نوعيا لمنهاج الأمم المتحدة لجهة التدخل الإنساني ضد قمع الدولة المركزية، نقول مع هذا التطور الذي اعقبه انبثاق إدارة ذاتية كوردية وبرلمان كوردي

منتخب وحر، بدأت الدول الأوروبية تضع كورد العراق في خانة أخرى، ولم يعد وصف الإضطهاد والقمع منطبقاً عليهم، وازداد هذا التوجه صدقية مع إستقرار الوضع الأمني والإقتصادي والسياسي في الإقليم في ظل الحكومة الإقليمية الثالثه، حيث انعدم الوصف الموضوعي للجوء على القادمين مؤخرا من كوردستان العراق بالمعنى القانوني الدولي.

وهكذا تم تدشين سلسة من التعديلات على لوائح اللجوء فيما يخص مناطق ودول عدة في العالم، ومنها بالتاكيد اقليم كوردستان العراق، بلغ حدّ اصدار هولندا قانونا بحجب اللجوء نهائياً عن القادمين من الإقليم.

عليه نقول بكل صدق لكل المتهافتين على بوابة ابراهيم الخليل بعد أن يكونوا قدباعوا كل "تحويشة العمر" أن أوروبا لم تعد الجنة الموعودة وان الصورة التي يرسمها لهم الضليعون في فن تهريب الاشخاص ليست سوى واقع افتراضي وخيال سرعان مايتبدد حين تطأ اقدامهم ارض أوروبا لتبدأ رحلة العمر المريرة، هذا أن لم يقعوا في منتصف الطريق فريسة سهلة لشرطة هذه الدولة اوتلك في المحطات الانتقالية.

وهذه بعض عينات الواقع:

١- إن فرص العمل المناسب ضئيلة جدا للاجئين وأكثر الأعمال التي تناط بهم هي من النوع الذي يرفضه المواطن الأوروبي مثل تنظيف الشوارع أو العمل في القطاع الخدمي كالمطاعم والفنادق. بحكم أن أكثر القادمين حديثا لايعيرون كثير إهتمام لتعلم اللغة كشرط اولي ومهم جدا للعمل المبدع.

٢- إن اللجوء السياسي لايمنح الآن الا في اضيق الحدود، حيث يستعاض عنه بما يسمى اللجوء الإنساني أو الاقامة المؤقته، وفي كليهما انتقاص كبير للحقوق نسبة الى النوع الاول.

٣- إن ظاهرة الاعتداءات والتجاوزات على الاجانب غدت حالة يومية، ولعل حرق مرقص سويدي كان يرتاده الاجانب، ومقتل احد اللاجئين الكورد في هولندا، والحرائق التي تضرم في معسكرات اللاجئين في ألمانيا تقدم ادلة على ذلك.

٤- إن عائق اللغة يفعل تأثيره السيء في عدم قدرة اللاجئين الجدد على الإنسجام مع المجتمع الجديد، لذا نجد الكثيرين من القادمين مؤخرا يعانون من اعراض الوحدة والانعزال والانسحاق النفسي.

٥- التحلل الخلقي ظاهرة جديدة على الإنسان الكوردي وقد غدت افرازا طبيعيا بعد النزوح الى مجتمعات لاصلة لها بتاتا بالأخلاقيات المتجذرة في المجتمع الكوردي،

وهذه الظاهرة تزداد بروزا لدى ابناء الجيل الثاني الذين ترعرعوا أو ولدوا في الشتات الأوروبي ومن ملامحها الزيادة الملحوظة في عدد حالات الطلاق وهروب الابناء من الوالدين والادمان على عادات ضارة وغريبة.

٦- أن غالبية الكفاءات والذين يمكن بسهولة استيعابهم والاستفادة منهم في مرحلة التنمية والاعمار في كوردستان العراق يشكلون هناك جيشا من العاطلين بينهم محامون ومهندسون واطباء هائمون على وجوههم في دوائر الرعاية الإجتماعية في أوروبا، وهكذا يفقد صاحب الشهادة والتحصيل العلمي الجيد فرصة تنمية ذاته وشخصيته.

في ١٩٩٧/٧/١٢ حين غرق في البحر (١٦) إنسانا بريئاً من كوردستان العراق نشر كاتب هذه السطور مقالا يوم ١٩٩٧/٧/٢٤ بعنوان (الهرب من كوردستان) في صحيفة "الحياة" اللندنية ذكرت فيه أن الإدارة الكوردية في الإقليم مطالبة بسن إجراءات لمواجهة ظاهرة الهجرة الغريبة، ومحاولة الاحتفاض بجزء من كفاءات التنمية والبناء السلمي وعدم ترك الحبل على غاربه لهذا التدفق اليومي على بوابة الحدود واوردت بالنص " إن كبح جماح هذه الهجرة أو عقلنتها يقتضي اضافة الى عوامل أخرى أن تراجع نخبة السلطة والحكم في الإقليم سلوكها وان لاتكون اول سرب للعصافير المهاجرة، لأن من لايعايش مرارات ومعاناة الناس لايحق له التبشير بتجربة وحرية هو اول الهاربين منها".

ختاما اكرر دعوتي للجهات المعنية في الإقليم لتدشين حملة اعلامية تربوية معلوماتية لتنوير سكان الإقليم وايضاح الحقائق لهم، ولابد ايضاً من قوانين صارمة بحق فئة المتاجرين بالبشر وإعتبارهم مجرمين وتحريم عملهم في كوردستان، لأن ذلك يرفع من مصداقية سلطات الإقليم لدى الدول الأوروبية.

***

هوامش على خطاب السيد مسعود البارزاني في١٩٩٩/٢/١٦
التغيير في الحزب والإدارة فعل حضاري

خهبات ١٩٩٩/٢/٢٦

التغييير في المغزى والايحاء يبقى ايجابياً وحضارياً وواعداً، وفاتحاً لمغاليق الامور استشرافاً للأفق الأخضر المتقمص لأحلام الثورة الواقعية، فالتغيير في القاموس اللغوي

يعني تطوير الشيء من شوائبه وعوالقه الزائدة، وهو في الاصطلاح الطبي الوسيلة المثلى لأستبدال جزء من الجسم بعملية جراحية حين تكون كل المسكنات والادوية عاجزة عن إعادة العافية الى الجزء المصاب.

اما في النسيج الإجتماعي – الإقتصادي – السياسي، ولاسيما حين يكون هذا النسيج خارجاً لتوه من خندق الثورة الى قصور الدولة، فان التغيير يكتسب أهمية اضافية ويصبح نهجاً وعروة وثقى أن لم تتعلق بها الثورة النامية فانها تكتب على نفسها بالموت وتتحول الى جسم ذي عظام نخرة لاتكاد تربطها المفاصل الى بعضها البعض، والى بطون متخمة وافواه لاهثة نحو المزيد والمزيد، دون أن تلتفت الى الوراء والى الجذور التي اينعت منها الثورة واكتنزت بالإخضرار، ودون أن تفكر في الصلاة على كل الجنود المجهولين الذين بنوا صرح الثورة، بل ودون أن تتحمل عناء السؤال عن هوية ثورة تحملت اقسى صنوف الكوارث وانفجرت في واحدة من أكثر المناطق تعقيداً لجهة الجغرافيا السياسية، وضمن ظروف هي في مرارة الحنظل ووعورة جبال كوردستان نفسها.

فهل يجوز لهكذا ثورة أن لاتمارس الطقوس المقدسة لاية ثورة تحترم ذاتها وموقعها ومحتواها الديمقراطي التنويري، وذلك بان تقدم بين الحين والآخر على تنقية نفسها من الادران التي لابد أن تتراكم عليها في خضم المسيرة الطويلة، ولاسيما بعد الانتقال الى مرحلة البناء السلمي حيث تصبح المباديء مفردات تطبيقية والشعارات النظرية واقعاً ومعطىً مادياً لابد أن تستفيد منه اولاً واخيراً الشرائح التي اندلعت بها ولها ومن اجلها الثورة وصولاً الى العدالة الإجتماعية التي يستحيل لأية ثورة أن تتبرأ منها وإلا فقدت وقودها الأساسي وهو جيش الفقراء.

كان لابد أن اسوق هذه التوطئة بعد استماعي الى الخطاب النوعي الهام للسيد مسعود البارزاني الذي قدم خلاصة لمباديء الثورة وقيمها، وايضاً خلاصة لما تراكم على جسم هذه الثورة من امراض واعراض امراض، وضرب الحقيقة في الصميم حين اكد أن التغيير آتٍ لامحالة وان أفكار الثورة وقوانين الإدارة لن تبقى في مهب الريح.

قبل عام كتب كاتب هذه السطور مقالاً بعنوان "كوردستان... فلسطين... فجوة تباين" حاولت فيه ابراز اوجه التشابه بين الثورتين الكوردية والفلسطينية من حيث اندلاعهما في منطقة الشرق الأوسط الحبلى بالتفجيرات السياسية والدينية والإجتماعية والقومية، ونهوضهما في وقت متقارب في عقد الستينات المكتنز بحرائق الثورة ورومانسيتها الجيفارية ضد الاستغلال بشتى انواعه، فثورة كوردستان أثمرت عن منطقة آمنة في عام

١٩٩١ وعن حكومة اقليمية وبرلمان اقليمي منتخب وحر في عام١٩٩٢، وثورة فلسطين بسطت سلطتها الوطنية على الارض عام ١٩٩٣، اما فجوة التباين بين هاتين الثورتين فكانت حين استبق عرفات الثورة الكوردية بإتخاذه قرار التطهير ومواجهة التعفن والفساد في الإدارة وفي الجسد المترهل لمنظمة التحرير الفلسطينية، في حين كانت ثورتنا وقلبها النابض الحزب الديمقراطي الكوردستاني الى ماقبل عام مايزالان يمارسان بنيّة صافية التعتيم على المساويء ويتوجسان خيفة من نشر الغسيل المتسخ على الملأ، ويتشبثان بنظرية "الظروف الطارئة" وحساسية المرحلة في تفسير عدم اتخاذ مافي حده الحد بين الجد واللعب.

وحتى وانا في اوروبا، الفسيحة الحرية لم الجأ الى نشر المقال لكيلا أتهم باستباق الامور والمبالغة وعدم تقدير ظروف التجربة الفتية رغم أن رائحة وغبار الفساد الإداري كان يصلني عبر القادمين من كوردستان وكانوا يدعون الى أن تنهض الاقلام الكوردية لتعرية هذه الظاهرة المرعبة. وكم تمنيت لو انني لم أمزق هذا المقال لنشره الان، في وقتٍ بلغت الشفافية والصراحة مداها الأقصى في خطاب الرئيس مسعود البارزاني، ورفع الغطاء عن قدر الضغط وتم تشخيص الحالة المرضية على وجه الدقة، ولم يعد ينقصنا غير وصفة الدواء وهي اسهل ماتكون بعد أن تخطينا التشخيص الدقيق للأورام على يد المقام الاول في الحزب.

لقد تابعت بجد الصحف وهي تنشر تباعاً تعليقات ذكية حول "خشبة الخلاص" التي اقترحها الرئيس البارزاني لسفينة الثورة والإدارة والتي يتمحور ملخصها حول تقليم اظافر ظواهر الكسب اللامشروع، والتخمة على حساب ثورة الفقراء والشهداء، وتشويه الصورة النقية للثورة، والتطفل الإجتماعي والإقتصادي سواءً كان في مقر الحزب أو مبنى الإدارة أو خندق العسكر، والنمط الاستهلاكي اللامبرر لحياة بعض من ثوار الامس واصحاب السلطة اليوم.

ولأنني احد المنتمين الى الشريحة التي اجبرتها الهموم الكوردية الى النزوح بعد عام ١٩٧٥ الى اوروبا لمواصلة النزيف من اجل الوطن هناك بعد أن اغلقت كل النوافذ ابان حرب الإبادة العنصرية، لذا فانا ومعي كل النخبة التي عايشت الواقع الاوروبي عن كثب عقوداً من الزمن نستقبل بطعم آخر وبمعايشة وجدانية حارة كل كلمة حق وردت في خطاب الرئيس البارزاني حول تعميق الديمقراطية الداخلية ووضوح الرؤيا وسيادة القانون والوقوف الى جانب الشرائح المجتمعية الافقر لمنع ذوبانها تحت اقدام شلة المنتفعين الجدد الذين تكرشوا حتى ماعادت لهم رقبة على حد تعبير الشاعر مظفر النواب.

وهذا الطعم الخاص الذي نتحسسه نحن متأتٍ من انفتاحنا اللامتناهي على تأريخ وتجارب الثورات الأخرى وانخراطنا في نسيج مجتمعات متقدمة حضارياً اصبح فيها المجتمع عونا للفرد مادياً ومعنوياً، والفرد مطالب بأن لايقضم حرية الآخرين، والإدارة حارسة أمينة للجميع فالأمن السياسي والإجتماعي والإقتصادي هو العنوان المرجعي لأفكار السياسي والحاكم والموظف والمواطن العادي. لست طوباوياً بالطبع للدعوة لإستنساخ تجربة تلك المجتمعات المتقدمة، ولكن لأن مسافة الالف ميل تبدأ بخطوة، فلابد اذن من تدشين الخطوة الاولى وتهيئة الاجواء والاذهان للفكر التنويري – التغييري – الحركي المؤمن بزئبقية الحياة لابجمودها وتكلسها، وبعد ذلك نكون أمام مفترقين كلاهما امينان لسمعة واحدة من انبل قضايا التحرر في واحدة من أكثر مناطق العالم بؤساً، فإما أن ننجح كلياً في ممارسة وادامة التجديد والتصحيح وتنقية جذور الثورة وجعل قيم البارزاني ومفاهيمه الحياتية دستوراً للحزب والإدارة، وذلك اقصى الطموح أو ننجز جزءً منه، وفي الحالتين نكتسب المصداقية لدى كل شرائح المجتمع الكوردي لأننا فعلنا الممكن ولم نترك الحبل على غاربه، وبعد ذلك تنطبق علينا الحكمة الكوردية الشهيرة "الندامة على فعل الشيء افضل من الندامة على الاحجام عن فعله".

ولعل افضل مسك للختام هو القول الفلسفي الشهير والذي مفاده "حين تكثر الاشياء التي نكرهها وتقل الاشياء التي نحبها فذلك هو الجحيم". فواجبنا اذن هو تكثير الظواهر التي نحبها وتقليل مواطن الكره والشبهات وزيادة المساحة الخضراء المعشبة في حياتنا لكي يكون بمقدورنا التقدم في واجهة المجتمع بصورتنا الاصلية دونما نقوش أو رتوش، وذلك هو بيت القصيد.

***

البارزاني قمة نضالية لاتضاهى

خەبات ١٩٩٩/٣/٥

الزمان آب ١٩٧٧ والمكان جامعة صوفيا في بلغاريا التي كانت محطتي الاولى حيث حللت لاتواصل هناك مع الوطن واتعاطى المقاومة بعد أن اغلق النظام كل الأبواب في حينه واعلن حربه العنصرية ضد الشعب الكوردي، سألني پروفيسور القانون الدولي العام من اين قدمت فقلت من كوردستان ولم تكد الكلمة تخرج من فمي حتى قال انت من وطن البارزاني اننا نعرفه ونقدر اصراره على انتزاع الحرية لكم، ولكنها اللعبة الدولية التي اخذت بخناقكم عام ١٩٧٥.

حينها انبهرت وتضاعف اعجابي بهذا الشيخ الحضاري البارزاني الذي اصبح عنوان وطن ورائد مسيرة وابا لشعب عرف ابناؤه بأنهم ايتام العالم وبأنهم الشعب المخدوع كما وصفهم احد المؤلفين الألمان في كتاب بهذا الاسم.

ان البارزاني ليس مجرد رمز وليس مجرد رائد نضال تحرر عادي، انه مجموعة قيم ونسق من المثل وتراكم ايجابي من افعال المقاومة المستديمة والاصرار على الحق وعدم التنازل عن شرعية القضية، وحنكة سياسية، واندماج الى حد الذوبان مع فقراء هذا الشعب، وهو عمومي شعبي لافئوي تكتلي، والحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي اسسه في ١٦/اب/١٩٤٦هو خلاصة إيجابية لربط القيم الدينية–الوطنية–الإجتماعية في نسيج فكري منسجم مع تلاوين المجتمع الكوردي وقادر على احتواء كل اطياف هذا المجتمع، إن هذه جملة من أهم خصال البارزاني الذي مازال معجماً نضاليا ضخما لم تفتح كل صفحاته ولازلنا في أمسّ الحاجة للكتابة عنه للاجيال القادمة ولكل المعنيين بسيرة هذا الجبل الشامخ في العالم.

كلما قرأت يوميات مقاتل من اجل الحرية في واحدة من بقاع هذا العالم، وكلما قلبت صفحات احدى الثورات الشامخة يأخذني الاسى لأن البارزاني الشامخ لم يكتب مذكراته، ربما تواضعا لأنه كان مؤمنا بالافعال أكثر منه بالاقوال، لكن يبقى ذلك نقصا في المكتبة الكوردية، وربما كانت سلسلة الكتب التي اصدرها الرئيس مسعود البارزاني بعنوان (البارزاني والحركة التحررية الكوردية) بما فيها من طابع توثيقي وتأريخي وواقعي هي التي غطت على بعض من هذا النقص.

لقد اسس البارزاني لعلاقة منسجمة مع المناخ التأريخي والديني وإجتماعي السائد في محيطه فلم يبالغ ولم يمارس القفز على الموانع الا حين كانت هذه الموانع تعيقه عن مواصلة كفاحه التحرري، لذلك أن نضاله العادل موجه ضد الأنظمة وليس ضد الشعوب وموقفه خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦يفسر ذلك اذ يقول البارزاني: "يوم بدأ الغزو ضد مصر في السويس ذهبت الى كل مكان استطيع الذهاب اليه في الإتحاد السوفيتي وقابلت كل من استطيع أن اقابله من قياداته طالبا مساعدة مصر، بعد أيام طلبوني وسمعت من يقرأ علي انذار بولجانين الى ايدن وموليه... كنت قبلها ابكي خوفا على مصر... ثم رحت ابكي فرحا من اجل مصر".

وجاءت مواقفه اللاحقة خلال حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ ضمن هذا السياق واستكمالا لرؤية البارزاني.

لقد كان من طباع هذا الشيخ الحضاري انه كان يقرأ جيدا دواخل الأنظمة المقتسمة

لكوردستان ومراميها، لذلك لم يأتمن جانبها ولم يذهب فريسة للتصفية الجسدية حيث إستخلص من السوابق درسا، فشقيقه عبدالسلام البارزاني اعدم في الموصل يوم ١٩١٤/١٢/١٤ إبان الحكم العثماني والشيخ الجليل محمود الحفيد قائد ثورة ١٩١٩ كان مصيره الأسر ثم النفي عن وطنه والقاضي محمد مؤسس جمهورية مهاباد في كوردستان إيران اعدم عام ١٩٤٧، لذلك كان البارزاني دائم الحذر واليقظة في تحركاته اليومية، ولعل مسيرته برفقة (٥٦٠) رجلا من اشداء الفدائيين عام ١٩٤٧ عقب سقوط جمهورية مهاباد، في المسالك الجبلية الشديدة الوعورة على الحدود العراقية-الإيرانية-التركية التي قطع خلالها (٢٢٠) ميلا ليعبر يوم ١٨/حزيران (يونيو)/١٩٤٧ نهر "آراس" الى البر السوفييتي بأمان، تشكل نموذجاً لعزيمة لاتلين أمام الصعاب رغم الاستنفار العسكري الذي لجأت اليه دول الطوق الثلاث للاجهاز عليه.

ان اجمل وفاء نقدمه لذكرى البارزاني الخالد هو خطاب الرئيس مسعود البارزاني في ١٩٩٩/٢/١٦ في دهوك والذي شكل في مجمله عودة الى تراث البارزاني.

***

الكابينة الثالثة علامة فارقة في مجرى التطور في كوردستان

لقاء مع جريدة خهبات نشر في العددين ٩١٤ و٩١٥ في شهر آذار عام ١٩٩٩

بمناسبة عودته الى ارض الوطن، اجرت "خهبات" لقاءً مع الأخ فوزي الأتروشي عضو الفرع السادس لحزبنا، القى سيادته خلال اللقاء الضوء على أهم التطورات السياسية والثقافية والإقتصادية في كوردستان والتي تعد من ثمار نضال البارزاني الخالد وحزبنا الديمقراطي.

هذا واشار الأخ أتروشي خلال اللقاء الى ظروف القضية الكوردية على الساحة الدولية في الوقت الحاضر، وخاصة في أوروبا، والتي يعايش الاحداث هناك بحكم وجوده فيها.

* بعد عودتكم الى الوطن (كوردستان) لابد وإن هناك تطورات لفتت انتباهكم ولاريب في أنكم لمستم وجود تغير من نوع ما، ماهي أهم التغيرات التي لاحظتموها، وكيف تقيمون الاوضاع هنا في كوردستان من جوانبها السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية ؟ وماهي برأيكم سبل تجاوز بعض اوجه القصور إن وجدت؟

فوزي الأتروشي: ساكون مجافيا للواقع إن تنكرت لمجمل التطور الحاصل للاقليم، وفي ذات الوقت ساكون مفرطاً في التفاؤل دونما مبرر أن تجاوزت الكثير من نواحي القصور الذي مازال باديا للعيان، ودرءً للافراط والتفريط اقول أن الحكومة الإقليمية الثالثة تشكل بالفعل علامة فارقة في مجرى التطور السياسي- الثقافي - الإقتصادي - العمراني - الإجتماعي في كوردستان العراق.

بين زيارتي في صيف عام ١٩٩٧ والزيارة الحالية مساحة زمنية وجدتها عامرة بالكثير، فمثلا تحسن الوضع المعيشي العام للسكان بفعل تطبيقات القرار ٩٨٦ وجهود الكابينة الثالثة الحثيثة لتوفير الأمن والإستقرار وحلول السلام، وتحسن مستوى الاتصالات التلفونية والفاكسية بين المدن والقصبات، وثمة انتعاش ملحوظ في حركة التأليف والنشر للانتاج الابداعي الفكري للمؤلف الكوردي الذي كان على الدوام ضحية ضيق ذات اليد ورقابة الدولة المركزية على المطبوعات، ولايمكن انكار إنجاز الحكومة في مجال تأهيل البنية التحتية للاقليم، كما سرني تغلغل تقنية الكومپيوتر الى أكثر مجالات العمل وادعو الى المزيد من التطور في هذا المضمار الحيوي وتوظيف هذه التقنية المتقدمة لتدشين بنك معلوماتي احصائي شامل لكل جوانب الحياة في الإقليم يكون في خدمة البحث العلمي والتخطيط الإقتصادي المستقبلي.

اذكر أن قرار الحكومة بتخصيص خمسين مليون دينار لتعويض المتضررين من الإقتتال الداخلي البغيض اثلج صدور الكثيرين من ابناء الجالية الكوردية في اوربا واصدقاء تجربتنا الديمقراطية وكان له وقع حسن على المؤسسات والمراكز الكوردية التي تبين لها حرص حكومة الإقليم على الصالح العام، كما كان نشر الميزانية على الملأ اشارة الى عنصر الشفافية والعلانية والديمقراطية لدى الكابينة التي تستحق أن توصف بكابينة الخدمة والاعمار والأمن السياسي. اما الحديث عن اوجه القصور فلا يسعني إلاّ أن اوجزه لأن خطاب الرئيس البارزاني في ١٩٩٨/٢/١٦ اسقط ورقة التوت عن خفايا الكثير من الامور وقد كتب عنه الكثير لغاية الآن وكنت احد الذين خاضوا في الموضوع في مقال بعنوان "التغيير في الحزب والإدارة فعل حضاري" نشر في (برايه تي وخه بات) يومي ٢٥و١٩٩٩/٢/٢٦. لذا اود الاشارة الى بعض ماتراءى لي من اوجه القصور من خلال مشاهداتي ولقاءاتي على مختلف المستويات:

١- عدم وجود نظام ضريبي مدروس يشمل كافة العاملين في القطاعين العام والخاص مما يعني هدرا لموارد غير منظورة يمكن أن تشكل موردا اضافيا يوظف في قنوات المشاريع الإجتماعية ذات الصالح العام، اضافة الى كون الضريبة تقع في صلب

العدالة الإجتماعية لجهة تقليل الفوارق بين الشرائح المجتمعية.

٢- نرى ضرورة بذل خطوات جدية لترشيد النفقات وتحديد الأولويات ما يعني الحاجة الماسة الى دائرة تخطيط مركزي.

٣- التقليل من التضخم الإداري الذي افرز في واقع الحال ظاهرة البطالة المقنعة مع فهمنا لأسباب هذا التضخم.

٤- زيادة الإهتمام بالشرائح الهامشية ماديا في المجتمع باتجاه ضمان تحقيق الأمن الإجتماعي.

٥- في مجال الكادر الوسطي نرى ضرورة التركيز على فئة التكنوقراط وذوي الإختصاص في مختلف المجالات.

٦- ندعو الى استحداث دائرة الرقابة المالية العامة وتخويلها الصلاحيات الكاملة لممارسة عملها.

* في ظل الاوضاع الراهنة ماهو تصوركم لآفاق التجربة الديمقراطية في كوردستان، وماهو المطلوب من القوى السياسية في الإقليم بصورة عامة لصيانة وتعزيز وتطوير هذه التجربة؟

فوزي الأتروشي: التجربة الديمقراطية التي ننعم بها الآن هي وليدة الإنتفاضة المباركة والتفاعل الدولي الايجابي معها من خلال القرار ٦٨٨ الذي شكل تغييراً لميثاق الأمم المتحدة لجهة تقييد السيادة المطلقة للدولة وربطها بمدى إحترام النظام المركزي لحقوق الإنسان، فاصبح التدخل الإنساني مشروعا. وكآلية لتطبيق القرار استحدثت المنطقة الآمنة لأول مرة في كوردستان العراق وشكل ذلك شرخا تاريخيا للمبدأ الكلاسيكي القاضي بعدم التدخل في الشؤن الداخلية للدول، اي أن حالة كورد العراق كانت اول نموذج لتطبيق النظام الدولي الجديد. إن الملاذ الآمن من حيث المبدأ والجذور له بعد إنساني،الا أن الكورد ومجمل التطورات الحاصلة اضفت اليه بعدا سياسيا وقانونيا دوليا، حيث امتزج الطابع الإنساني بالجذر السياسي للمشكلة الكوردية. ومع سحب الادارات المركزية وانبثاق إدارة كوردية وبرلمان كوردي منتخب وحر ودخول التجربة في شبكة من العلاقات الدولية اصبحت الحالة الكوردية اوسع من مجرد اطار منطقة آمنة لتصبح مسألة طموح قومي مشروع وحقوق قومية تطبق ميدانيا على الارض. إن هذا تطور كبير في مجمل سياق الحركة القومية الكوردية ولابد من استحداث آليات مناسبة لصيانته، لاسيما وان التجربة مثلها كمثل كل تجارب النهوض القومي الكوردي محاطة بالطوق الإقليمي، وبالكثير من حقول الالغام السياسية التي يمكن أن تجهز عليها إن لم

يحسن الجسم السياسي الكوردي التصرف السليم، لذا فان صيانة التجربة مرتبطة عضويا بصيانة السلام في كوردستان كمهمة حياتية محورية تتعلق بها كل القيم الأخرى، فلابد من الحفاظ على ثوابت وطنية قومية وبلورة القرار الاستراتيجي الوطني الكوردي الموحد الذي يدرأ المخاطر عن التجربة ويزيد من بريقها لدى سكان الإقليم ولدى بعض الاوساط الدولية السياسية والقانونية الدولية التي تجد في الملاذ الأمن لكورد العراق نموذجا يمكن تطبيقه في بؤر توتر أخرى في العالم. وبعكس ذلك فكلما ازدادت الشروخ في الجدار الكوردي وانعدم الأمن السياسي والإقتصادي فان ذلك يكون ذريعة بيد الفقهاء الكلاسيكيين للقانون الدولي وللاوساط السياسية لدول الطوق للعودة الى مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية. إن صيانة الوحدة الداخلية -وذلك ممكن- مقرونة ببروز ملامح تفهم دولي أكثر وضوحاً مثل ماحدث في إتفاق واشنطن، وإستمرار الحكومة الإقليمية في برنامجها التنموي وصيانة حقوق الإنسان، كل ذلك يشكل الضمانة الأساسية لصيانة التجربة ورفع سمعتها لدى الآخرين.

* في اوروبا هل هناك جديد بخصوص القضية الكوردية وخصوصا كوردستان العراق، ماهي رؤية الرأي العام الاوروبي الآن وكيف يمكن استثمار الجانب الايجابي منه وتطويره لصالح قضية شعبنا العادلة ... وماهي برأيكم الوسائل التي تمكن شعبنا من كسب المزيد من الاصدقاء والدعم والتعاطف؟

فوزي الأتروشي: كعضو هيئة عاملة لفرع الحزب في اوروبا وكاعلامي كلما زرت كوردستان اواجه بالسؤال الكبير والهام وهو هل ثمة لوبي كوردي في اوروبا؟

اعتقد أن الجواب يستدعي التأمل قبل الاجابة الخاطفة بنعم أو لا، ولاشك أن في اوروبا احساس بزخم القضية الكوردية بحكم تسارع الاحداث وديناميكيتها في كوردستان، وايضاً بفعل الجالية الكوردية وفاعلياتها التي تتسع يوما اثر يوم.

اعتقد من خلال خبرتي في العمل السياسي ضمن المجتمعات الاوروبية انه تواجدت على الدوام شرائح نخبوية حقوقية وسياسية واعلامية وأكاديمية اهتمت بقضيتنا وصدرت بالألمانية والانگليزية والفرنسية جملة كتب قيمة عن الكورد، لكن الإهتمام في مامضى كان عموميا وضبابيا وذا طابع إنساني في كثير من الأحيان، وربما كان العام ١٩٨٨ الفاصل بين عهدين بالنسبة لنا وللرأي العام الاوروبي، فالحركة الكوردية ايقنت بعد إستخدام السلاح الكيمياوي في حلبجة حجم الفارق بين سلاحها وسلاح اعدائها وتوصلت الى قناعة كلية بضرورة استمزاج ومزاوجة وسائل النضال الفكري والإعلامي والسياسي وابرازها، والتركيز عليها وعدم حصر الإهتمام بالكفاح المسلح، ومن جانب

اخر لعبت الصورة المتلفزة اكبر الادوار في نقل فاجعة حلبچة الى العالم، وكانت خصوصية الجريمة وكونها اول جريمة في التأريخ من حيث اقدام نظام على استعمال سلاح مدمر ومحرم دوليا ضد شعب بلده، تحفر في ضمير العالم اسم قضية شبه منسية، لذا ارى أن مأساة حلبچة وافرازات حرب الخليج الثانية فيما يخص كوردستان العراق كانت القشه التي قصمت ظهر البعير واخرجت الهموم الكوردية من صف النخبة ونقلتها الى القطاعات الشعبية الاوروبية، وبذلك تجاوزت القضية الكوردية موقعها الصغير لتدخل حلقة اوسع ولتصبح قضية الشارع بدلاً من مجرد حلقات أكاديمية ضيقة. وصارت قضية كورد العراق تُثار في البرلمانات وفي مؤتمرات الأحزاب الاوروبية، ولعل دعوة الوفود الكوردية الى كافة مؤتمرات كتلة الاشتراكية الدولية وإجتماعاتها الاستشارية وعقد مؤتمرات خاصة بالقضية الكوردية وبالكورد كشعب، واحتضان دول اوروبية لجولات التفاوض الكوردية، ودخولها أحياناً كشهود على الإتفاقات الكوردية لتفعيلها وضمان السلام في كوردستان وصدور القرار الهام (٦٨٨) وتشكيل قوة حماية دولية، يؤكد وجود لوبي كوردي قد لايكون متكاملا ولكنه يخطو خطوات فاعلة على الارض.

وهنا يأتي الدور الكوردي الحاسم لتوسيع هذا اللوبي وتفعيله وادامته لصالح عدالة القضية الكوردية ومحتواها الديمقراطي المنسجم مع موجبات العصر، ويحسم الامر لصالحنا كلما تأقلمت السياسة الكوردية في الداخل والخارج مع الآليات الحضارية المرنة للعمل السياسي من خلال تجذير السلام والاحتكام الى الحوار لفض الخلافات، وبلورة قواسم الحد الادنى لثوابت العمل القومي.

وفي القارة الاوروبية الحساسة تجاه العنف، علينا نبذ الممارسات العنفية وتجنب نقل واقع الإقتتال – لو وقع مرة أخرى لاسمح الله – اليها والإهتمام بالثوابت الأساسية ورفد الرأي العام الاوروبي بالوقائع والمعلومات التي تزيد من نضارة القضية الكوردية وتبقيها ساخنة ضمن الاجندة الاوروبية.

ولاشك أن هذه المهمة المفصلية تستدعي الاعتماد على نخبة من الكوادر الكفوءة المتفهمة للمجتمعات الاوروبية وسياقات العمل فيها والخبيرة في اللغات الاوروبية وايضاً في العمل الدبلوماسي الذي يقتضي كفاءات خاصة ومؤهلة ذات تحصيل أكاديمي جيد وماض سياسي دؤوب.

* بصفتكم كاتبا وشاعرا وصحافيا كورديا معروفا داخل وخارج كوردستان، كيف ترون واقع الحركة الثقافية بصورة عامة، والصحافية بصورة خاصة، في كوردستان اليوم؟ هل هناك قضم أو بالاحرى مبالغة في الاداء ام هناك تلكؤ وقصور؟ ماهو تأثير

النشاط الحالي في اوساط الكورد وغير الكورد خارج كوردستان ... هل تمكن من خرق اسوار العزلة ... وداخليا هل احدث تغييرا فكريا داخل المجتمع الكوردستاني؟

فوزي الأتروشي: ثمة فورة ثقافية وصحفية وابداعية في كوردستان ترافقها بالطبع حركة نشر وتأليف مزدهرة، والفورة والغزارة في الانتاج وازدحام المطابع بالحركة ظاهرة طبيعية بعد الخروج الفجائي من حلقة الكبت والقمع السلطوي التي كانت تهشم وتقزم الكلمة الكوردية وتحرمها من توظيف طاقتها التعبيرية لصالح الطموح القومي الكوردي والهموم الكوردية.

فنحن اذن ازاء انفتاح ثقافي اطل علينا بفعل الانتصار السياسي للحركة الكوردية، ولكن اعتقد اننا وبعد مرور ثماني سنوات على عمر التجربة بحاجة الى وقفة تأمل وغربلة وتعديل سياقات معينة واستحداث آليات جديدة لادامة التنمية الثقافية والتأسيس لمرحلة مابعد الفورة الفجائية.

ولعل انضمام المبدعين واصدقاء الكلمة الكوردية الى جمعيات ثقافية، وصمود إتحاد الادباء الكورد وبقاء اقلامهم متعانقة حتى بعد تشتت البنادق وطيشها في اوان الإقتتال الداخلي البغيض، واخيرا تأسيس نقابة الصحفيين في كوردستان والتي اعتبرها رافدا مكافحا للديمقراطية والشفافية، اقول لعل كل ذلك يمثل أطرا مؤهلة لمواصلة التغيير والإنعطاف نحو افق أكثر اشراقا.

وارى هنا ضرورة التأكيد على الصحافة المتخصصة والمتنوعة بقدر تنوع الشرائح الإجتماعية والفئات العمرية ذات التطلعات والهموم المتباينة، وقد يكون مفيدا في هذا السياق الاستغناء عن بعض الدوريات والصحف التي لاتكاد تعثر لها على طبقة من القراء اما لأن محتواها مكرر أو لأنها مفتقرة الى الحدود الدنيا من الاداء في المعنى والمبنى ولاتلمس الهموم اليومية للمواطن، فالصحيفة التي لاتنبض بنبض الحياة لاتستحق كمية الورق التي تنفق عليها، والتي من الاجدر توظيف تكاليفها لاصدار الكتب المدرسية بكميات وافرة وبذلك نكون قد ادينا مهمة تربوية عاجلة.

ولاجدال أن النهوض الثقافي والصحفي المتنامي في الإقليم هو موضع فخر الجالية الكوردية في الخارج، وقبل قدومي الى كوردستان ساهمت في ندوتين في (بون) و(بروكسل) بمناسبة مئوية الصحافة الكوردية ولاحظت تلهف الحضور وإهتمامهم بكل ما يدور على الساحة هنا، وكنت قد جلبت معي عينات من صحف ومجلات الإقليم الى الندوتين، وقد انبهر الحضور بالتقنية المستخدمة في اصدارها. ولكن عقبات البريد وصعوبة ايصال العطاء الصحفي والثقافي الى هذه الجالية مازال يحرمها ويحرم

مؤسساتها الثقافية من الاطلاع على هذا الكم الكبير من الاصدارات. فثمة اذن مايشبه التقوقع داخل الإقليم، لأن مايصل الى خارج الإقليم هو جزء ضئيل جدا وعلى الاغلب بفعل مبادرات فردية خلاقة، لذا نتطلع الى أن يبذل الحزب وحكومة الإقليم محاولات جادة لخلق سيولة في النقل.

ويجدر الذكر أن خدمة الانترنيت وفضائية كوردستان تغطي جزءً من هذا الخلل، ولكنها لاتفي بالغرض المطلوب ويبقى التواصل البريدي اليومي الحر حاجة ملحة.

اما عن مدى التغيير الفكري الحاصل في الداخل بفعل النشاط الثقافي الحالي فنقول أن مجرد انفتاح البوابات أمام التفكير الحر والعطاء والانتاج هو بحد ذاته تغيير، لكن التغيير الإنعطافي وتغلغل العطاء الفكري والابداعي الحالي في النسيج المجتمعي مازال في مرحلته الجنينية.

* هل انتم راضون عن اداء الإعلام الكوردستاني العراقي في الخارج ... الاترون أن هناك حاجة ماسة جدا الى جريدة كوردستانية خارجية تنطق باسم الإقليم ... مهمة من هي؟ وماهي مقترحاتكم أو تصوراتكم بخصوص فاعلية وفائدة هذه الجريدة؟

فوزي الأتروشي: الحديث عن اعلامنا في الخارج ذو شجون فالأداء ليس بالطبع في مستوى الطموح والاحداث ولا بقدر الفروض الملقاة على عاتقنا تجاه الإنجاز التأريخي الحالي لكورد العراق.

إنا كهيئة عاملة لفرع الحزب في اوروبا كنا ومازلنا نفكر على الدوام في الهموم الإعلامية، وهذه الهموم اصعب مما في الداخل لأن الرسالة الإعلامية وأهدافها وطبيعة القراء المتلقين للخبر تختلف عما هي في الداخل، فنحن بحاجة لتعريف الإنسان الاوروبي والجالية الكوردية والاوساط العربية بمجريات الاحداث في كوردستان كل بلغته، اضافة الى أن اوروبا غدت حاضنة الصحافة العربية العالية المستوى والعالمية التوزيع والليبرالية التوجه مما يتطلب ضرورة تغلغل الاقلام الكوردية فيها بحكم أن القضية الكوردية اصبحت من الهموم اليومية لهذه الصحافة.

هذا هو واقع الحال، والمهمة ليست هينة كما ترون وتستوجب دراسة متأنيّة وتمويل مناسب لمستوى الغلاء في اوروبا، وكفاءات اعلامية رفيعة المستوى.

لقد بذلنا جهودا ولكن جميعها توقفت في منتصف الطريق لجملة عوامل كان أهمها ضآلة التخصيصات المالية الكافية وعدم وجود التخصص في العمل ضمن الهيئة العاملة للفرع، بل أن عمل هذه الهيئة كان في فترات كثيرة يلقى بمجمله على عاتق شخص أو شخصين.

لقد اصدرنا في السابق صحيفة (وەڵات) كلسان حال للفرع، ثم اصدرنا طبعة دولية لـ(خەبات) و(برايەتى) في لندن وكذلك مجلة باللغة الانكليزية وتوقفت كلها وحاليا نصدر في فترات متباعدة نشرة اخبار كوردستان، كما نصدر تصريحات صحفية بعضها موجه للاعلام الاوروبي والعربي والبعض الآخر موجه للجالية الكوردية وثمة صفحة للحزب في الانترنيت.

ومن جهة أخرى حصلنا على موطىء قدم في الصحافة العربية العالمية التوزيع للدفاع عن التجربة الديمقراطية وعن مواقف وسياسات الحزب والكتابة عن مجريات الاحداث في الإقليم.

الا أن كل ذلك كما قلت لم يتحول الى عطاء اعلامي منتظم ومدروس ومستمر.

لذلك ارى ضرورة ماسة لاصدار صحيفة كوردستانية في اوروبا تنقل الاحداث والتطورات وتجليات التجربة الحالية الى الخارج، وسيكون مردودها فاعلا وقويا، لأن تجربتنا وآفاقها تستدعي الشرح وتسليط الاضواء عليها للاصدقاء لكي يكونوا على بينة من الامر، وللأعداء -وهم كثر- الذين يحاولون حتى في زمن الثورة المعلوماتية والعولمة ممارسة التعتيم على ايجابيات تجربة اقليم كوردستان، فهل ثمة مهمة اقدس من مهمة دحر المتربصين شرا بهذه التجربة التي شكلت اكبر إنجاز لشعبنا الكوردي.

وما يثلج الصدور انني ومن خلال لقاءاتي بقيادة الحزب والمسؤلين لمست تفهما وتقديرا لهذا الطموح الإعلامي واعتقد انه سيرى النور وهنا ادعو من على صفحات خەبات الغرّاء للاسراع في تحقيق هذا الإنجاز.

وإستغل هذا اللقاء لاتوجه بالنداء الى كل المثقفين والكتاب الكورد للانخراط في الصحافة العربية الليبرالية والكتابة عن جذور وافاق وعدالة القضية الكوردية والدفاع عن ثوابتها فالحوار الحضاري الذي ندعو اليه مع الأمم التي يتعايش معها الشعب الكوردي يتطلب فهما مشتركا واستمزاجا في الأفكار وتواصلا دائما للرأي والرأي الآخر على طريق استشراف مستقبل افضل وتفهم ايجابي للقضية الكوردية.

* واخيرا ماهي آخر نشاطاتكم ومشاريعكم الثقافية والادبية وماهو الجديد من نتاج فوزي الأتروشي الشعري؟

فوزي الأتروشي: اصدرت قبل أيام ثلاثة كتب هي كتاب (مقالات حول القضية الكوردية) يضم بين دفتيه كتابات سبق أن نشرتها في الصحف العربية وكلها ذات هموم كوردية، ومجموعة شعرية كوردية بعنوان (ارضي ... حبيبتي)واخرى عربية عنوانها (قصائد للحب والوطن) وهي تواصل وجداني ساخن مهدى لأمي التي علمتني

قيمة الحرية ولكل منابت المقاومة في كوردستان وللزنبقة التي اعشب حبها بستانا من القصائد. وفي المجموعتين يمتزج الخاص بالعام والهم الذاتي فيها يذوب في هموم الآخرين وفي كليهما اعاني احتراقين لوجه من احب ولأرض كوردستان وللشهداء الذين تعتبر الكتابة عنهم اكبر آيات الوفاء والتقدير.

أما آخر حرائق الشعر لدي فهو المقطع التالي:

يا أيها الحزب – الوطن

يا أيها المولود من رحم المحن

عمرك اثنان وخمسون سنة

ام انك الخارج من اعمق اعماق الزمن

***

الانتفاضة حالة فريدة في تأريخنا السياسي

خه بات ١٩٩٩/٢/٦

الانتفاضة في ربيع عام ١٩٩١، حالة فريدة في التأريخ السياسي العراقي والكوردستاني، ونقطة تحول نوعية في طريقة التعبير عن رفض النظام، وستبقى بانتصارها وانحسارها منعطفاً حاداً وفاصلاً بين عهدين من المقاومة، هما حقبة ماقبل ومابعد الانتفاضة التي حولت الصمت الرافض الى بركان من الغضب العلني العارم ضد نظام لم يتعود على المعارضة في ادنى مستوياتها ومارس اشد صنوف القمع المادي والمعنوي لتلوين كل الشعب بلونه الخاص وخنق اية بادرة حرية، ولم يستوعب يوماً أن حالة غليان كبرى ستزعزع كيانه بشكل تثبت له بالدليل القاطع أن حسابات حقله ليست مطابقة دوماً لواقع بيدره.

اذكر انني كنت حينها في بيروت للمساهمة في المؤتمر الاول لقوى المعارضة العراقية التي تضاربت تلاوينها السياسية وشعاراتها وآيديولوجياتها من اقصى اليمين الى اقصى اليسار، فكانت الخطابات والمداخلات تتخاصم دفاعاً عن هذا اللون السياسي أو ذاك، أو عن هذه الدولة الإقليمية أو تلك، وكان يتم تغليب الشأن الثانوي على الأولوي، والحزبي على الوطني والفئوي على الشعبي، ولم ينقذ المؤتمر الا صوت الانتفاضة الدامية المقبل الى داخل القاعة من جبال كوردستان وسهول واهوار العراق، فكان صوتها اعلى من كل ركام المساجلات النظرية، لانها كانت فعلاً تطبيقياً يحفر

أثره على الارض.

ولست أنسى الجواهري الراحل حين اطل بطاقيته الكوردية ليتحف الجلسة الختامية بكل مالديه من مخزون شاعري ووطني وإنساني داعياً الى وحدة الكلمة لأن وحدة البندقية سبقتنا على ارض الوطن.

وحين نجزم أن تلك الحالة من الغليان الجماهيري فريدة فلأن لها مواصفاتها وخصوصياتها، فهي انطلقت بعفوية وتلقائية، بمعنى انها لم تكن حصيلة خطط عسكرية مسبقة، رغم انه كان للجبهة الكوردستانية في الإقليم بما تملكه من قوة تعبوية وتسليحية وتنظيمية دور محوري في استيعاب المد الجماهيري وقيادته لاحقاً.

والانتفاضة لم تكن نخبوية، بل كانت شعبية بكل معنى الكلمة، وهي اضافة الى كل ذلك لم تكن ذات ميثاق آيديولوجي محدد –بالمعنى الضيق للكلمة– لذا لم تكن ثمة جبهة رفض ضدها، فالشعب كان موحد الرأي ضد اجهزة قمعية فقدت اية صلة بالوطن ومصالحه وسقطت الى الحضيض وبلغ إنتهاكها لحقوق الإنسان وفق تقارير المنظمات الحقوقية العالمية الدرك الاسفل.

يبقى أهم إنجاز افرزته الانتفاضة انها وبكل مافيها من قوة ومآسي ومن صور دامية انتقلت عبر الاثير في اروع صورة الى العالم لتطرق على ضميره وتعلق عليه اسم قضية تستحق التضامن، لقد اينعت الانتفاضة واثمرت حين جعلت الحالة العراقية والكوردستانية صورة متلفزة كانت على مدى أسابيع الخبر الاول في قنوات الإعلام العالمي لتصبح حالة معايشة، وربما لأول مرة للمواطن الأوروبي العادي، اضافةً الى الوسط السياسي والحقوقي والبرلماني، وتضافرت الكلمة المعبرة والصورة التلفزيونية لتخلق على نطاق العالم رأياً عاماً ضاغطاً دفع باتجاه القرار ٦٨٨ واستحداث منطقة آمنة في كوردستان العراق ومنطقة حظر جوي في الجنوب.

في ذكرى الانتفاضة وربيعها الدامي اعلن طموحي وتطلعي لكي ينهض مبدعون كبار شعراء وكتاب ومفكرون لتوظيف ابداعهم الخلاق لسبر اغوار هذه الحالة الفريدة الغزيرة المعاني والكتابة عنها وعن قيمها ومضامينها بلغة أخرى ترفع الستار عن مغزاها الثوري ومعانيها الجليلة وتستعيدها الى الاذهان كلما ابتعدنا عن اجوائها وعن اضرحة شهدائها وفضائلها الإنسانية المدى.

وما أحوجنا الآن بالذات للإلتفات مجدداً الى روح الانتفاضة وقراءة مفرادتها ثانيةً فهي إحدى اجمل الروايات الواقعية في حياتنا والفصل الذي سيبقى اخضر ومعشباً يتحدى خريف الامل.

نقابة الصحفيين في كوردستان... رافدٌ للديمقراطية في الإقليم

حين دُعيت صيف عام ١٩٩٢ الى مهرجان "أيام الثقافة العراقية في المنفى" المقام في مدينة برلين لالقاء كلمة عن الثقافة الكوردية، تعلقت تلقائياً بكلمة المنفى لآعلّق على مشجبها هموم ثقافة شعب بقي منذ تحسس جذوره الاولى منفياً في وطنه، وجدانياً وثقافياً وسياسياً، فكانت كل اشكال ثقافته من ادب وفن وفكر وكل غارسي الكلمة الكوردية والطامحين الى توظيف طاقتها التعبيرية في المقاومة يعانون النفي والتنكيل وفق قياسات ومعايير الانظمة السائدة بصدد الثقافة الكوردية.

والمنفى بقي لصيقاً بالنتاج الابداعي الكوردي، ونعني بالمنفى الاغتراب بنوعيه المادي الجغرافي، ماحدا بصدور اول صحيفة كوردية خارج ارض كوردستان قبل مائة عام، والمعنوي النفسي لأن ماكان يصدر داخل الوطن من نتاج كان زاخراً بطعم الاغتراب والرمزية لافتقاره لاي هامش من حرية التعبير عن المكنونات كما هي لا كما يريدها دعاة الصهر القومي.

لذلك فان الوضع السياسي لكورد العراق هو اضافة الى كل تجلياته الأخرى، انتصار حضاري بالغ الدلالة للكلمة الكوردية لكي تتحرر من اسارها وتنفتح مغاليقها على افق اخر عنوانه "حرية النشر والتعبير"، بعيداً عن مقص الرقيب البغيض وعن محاولات ترويض الكلمة الكوردية وتدجينها وفق مناخ زجاجي مكيف سلفاً.

ولكي يبقى انتصار الكلمة الكوردية الحرة دائم العطاء وتصبح الثقافة الكوردية والنتاج الابداعي في خدمة الإنسان الكوردي الذي عانى على مر التاريخ من الاستلاب، فإن هذه الكلمة بحاجة الى مبدعين اشداء لايخافون في الحق لومة لائم، والمبدعون والكتاب وكل اصدقاء الكلمة والتواقون الى"مهنة المتاعب" لابد أن ينهض لهم تجمع قوي وريادي للدفاع عنهم ومن خلالهم عن الديمقراطية.

لذا لايمكننا الا أن نقول أن تأسيس نقابة الصحفيين في كوردستان اضافة الى مغزاه الفائق الدلالة كأول محاولة للم شمل الصحفيين في الإقليم، فهو ايضاً تأسيس آخر لأحد روافد الديمقراطية، فهذه النقابة ليست مجرد رقم يضاف الى عدد كبير من المنظمات الجماهيرية والمهنية التي تنتعش اليوم في اداء مهامها، لانها النقابة ذات المهمة الأكثر شمولية، فمؤسسوها وان كانوا نخبة متخصصة الا أن المنتفعون منها هم كل سكان الإقليم وكل بنائه الفوقي والتحتي.

وهذه النقابة ليست ولايمكن أن تكون ذات وظيفة شكلية اجرائية مظهرية بحكم انها

بقلم: فوزي اترو شي

تمثل- بحق- السلطة الرابعة في الإقليم في عصر اصبح الإعلام فيه أحياناً كثيرة مصدر وصانع القرار، وصارت الارض قرية كونية والثورة المعلوماتية تكاد تكون ابلغ معلم من معالم حضارتنا الراهنة، مايعني أن مقولة التعتيم الإعلامي التي اعتدنا على اجترارها سابقاً والتي كانت تمارس فعلاً من قبل أعداء قضيتنا التحررية، اصبح جزءً من الماضي الذي لايعود، لذلك فالنقابة مهيأة تقنياً وموضوعياً وعصرياً لاداء مهمتها المقدسة في تنوير العالم بمضامين واحدة من اعدل قضايا التحرر في العالم، وايضاً وهذا مهم جداً لدرء الشوائب العالقة بمياه التجربة الديمقراطية في كوردستان العراق، ولجعل الإنسان وحقوقه هدفها الاسمى في مواجهة اي شكل من اشكال الغبن الإجتماعي- السياسي- الإقتصادي- الديني- الاثني- الفكري، وايضاً مايتعلق بمكانة المرأة وعلاقتها بالرجل، هذه العلاقة التي مازالت موضوعاً اشكالياً يعيق بناء مجتمع صحي قائم على وتديه؛ الرجل والمرأة.

إننا اذ نستبشر خيراً بهذا الوليد الذي رأى النور، ونقصد نقابتنا العزيزة، فأن الواجب يحتم ايراد جملة من الاراء بصدد ادائها الراهن والمستقبلي..

١- لأنها أساساً نقابة للدفاع عن نضارة القضية الكوردية والحقوق الأساسية للإنسان، فلابد لها أن تكون مكافحة ومقاومة، لامجاملة ومسترخية، فالمديح الذي يكال للايجابيات لابد أن يرافقه ضعف ذلك من النقد البناء للسلبيات ولكل العلل والتقيح والتشنج في جسم التجربة الديمقراطية الفتية، فالدعوة الى التنقية وسيادة القانون في كل مفاصل الحياة وتقليم النتوءات الضارة لابد أن يكون البند المحوري الاول في منهاج هذه النقابة.

٢- يتحتم على النقابة توظيف كل ماتتوفر عليه من آليات الثورة المعلوماتية لتجاوز حدود الإقليم وعدم التقوقع فيه، بحكم انها، ضمن فاعليات أخرى، المكلفة ببلورة رأي عام عالمي يتناغم وافاق تطور القضية التحررية الكوردية ومستقبلها، لذلك عليها الاستفادة من الكفاءات الصحفية الكوردية المتناثرة في الشتات الاوروبي، والتفكير في تشكيل إمتداد لها ونواة في القارة الاوربية التي تتمتع باوفر قسط من حرية النشر وديمقراطية الرأي، ثم انها القارة التي تتواجد فيها جالية كوردية نشطة وفيض من الهيئات والمراكز الثقافية الكوردية، اضافة الى تبلور ما يشبه اللوبي الكوردي الضاغط في هذه البقعة من العالم وهذا اللوبي بامس الحاجة لرفده على الدوام بالمعلومات والحقائق والوثائق والمعطيات عن الوضع الكوردي.

٣- نرى ضرورة زيادة اشكال الصحافة المتخصصة وتنميتها بحكم كون الثقافة مفهوماً

تنمـوياً شامـلاً يضم بين جنبيـه كل اشكال وصـيغ وجـوانب الحـيـاة من صـحـة وتكنولوجيـا وإقـتـصـاد وإجتـمـاع وزراعـة وصناعـة. ومن جانب اخـر يتـعين تدشين الصحافـة المتناسبة مع مختلف الفئات العمرية في المجتمع، فكل فئة لها مستواها الثقافي ودرجتها في الاستيعاب وإهتماماتها التربوية والثقافية وتطلعاتها التي تختلف عن الفئة الأخرى.

٤- لم اكن حاضراً في المؤتمر التأسيسي لنقابة الصحفيين، رغم كوني زميل مهنة، وذلك لبعدي عن الوطن، ولكنني اتطلع أن تصبح وثائقه واوراقه في فترة قياسية برنامج عمل تطبيقي ومفردات عملية لجهة هيكلية هذه النقابة ومحاور ادائها وحقوق منتسبيها ومشاريعها المستقبلية، لأن اي تلكؤ أو تعثر في ترجمة الخطط والبرامج الى مفردات على ارض الواقع، يعرقل عموم وظيفة المؤسسة الصحيفة التي تشهد أوان ازدهارها في ظل التجربة الحالية.

٥- لأن الرسالة الإعلامية لاتصل الى المتلقي الاعبر لغة تتجاوز اللهجات المناطقية وتكون مفهومة من قبل اكبر قدر من الجمهور وذات جاهزية متفقة مع شروط العصر في المبنى والمعنى، لذا نجد أن النقابة وكل مايتبعها من منابر اعلامية بالتنسيق مع كل الهـيـئـات والشـرائح الأخرى المعنيـة كـأتحـاد الادباء الكورد والمجـمع العلمي الكوردي والهيئات الأكاديمية، مطالبة بالعمل الجاد لمواصلة مشروع اللغة الكوردية الادبيـة الموحدة. إن ذلك سيكون انتصاراً حضارياً ليس للغة والثقافة فحسب، بل وقـبل ذلك للرسـالة الإعلامـيـة التي يبـقى هدفـهـا عـامـاً وشـامـلاً وليـس نخبـوياً وحصرياً.

هذا غيض من فيض ما اراه مناسباً لطرحه أمام نقابة الصحفيين في كوردستان والتي اجد فيها ركيزة قوية لتجذير التجربة الديمقراطية في كوردستان العراق.

***

غسان الأمام... ذهب بعيدا

الشرق الأوسط ١٩٩٩/٤/٢٣

ليت الكاتب غسان الإمام حوّل عنوان مقالته "استدارة عربية مطلوبة باتجاه تركيا" في (الشرق الأوسط) في ١٩٩٩/٤/٢٠ الى عنوان آخر يدعو الى استدارة عربية نحو غمط حقوق الآخرين والتلبس بلباس التناقض والازدواجية والنفعية. فهذا هو المحتوى

الحقيقي لما اراده الإمام في مقاله المنشور في اليوم الذي اعلنت فيه نتائج الإنتخابات التركية والتي تهيأ فيها للحزب اليميني المتطرف "الحركة القومية" أن يتبوأ الموقع الثاني. وهذا يعني أنه سواء استدار العرب أم لم يستديروا وسواء تعاطفوا مع القضية الكوردية الملتهبة أم لم يتعاطفوا فإن التركيبة القادمة للحكومة التركية ستبقى اتاتوركية اللون والهوية من قمة رأسها حتى اخمص قدميها، فهي ستمضي في التغريب والتنكر للمحيط الإسلامي، وتنتهك حقوق الإنسان ولاسيّما الحقوق القومية الكوردية، وتتمادى في التعاون الأمني مع إسرائيل واستغلال أزمة المياه لتطمين المصالح التركية الضيقة على حساب الجيران.

هذا هو الواقع فما ذنب القضية الكوردية في كل ذلك، ثم أن الكورد هم ضحية وليسوا الجلاد وهم أينما كانوا في وطنهم المجزأ كوردستان طلاب حق، وهم الطرف الأضعف في الحلقة، فلماذا ترمى كل الذنوب على كاهلهم وليس على كاهل الأنظمة التي قسمت وطنهم وتنكرت لوجودهم وهيأت كل الأسباب الموجبة لكي يدشنوا ملحمة المقاومة منذ مطلع القرن الحالي ولغاية الآن.

لم يكن غسان الإمام منصفاً في أية كلمة قالها في مقاله رغم ارتدائه لباس الحرص على المصالح العربية والأمن القومي العربي، بل إنه شوه الإنعطاف الإيجابي للنظرة العربية الى الهموم الكوردية وغير الكوردية في منطقة الشرق الأوسط.

واذ يعترف الإمام بأن الأتراك شديدو القسوة في التعامل مع "أقلياتهم" يستدرك طالباً أن ندرك حساسية الأتراك البالغة تجاه كل ما يمس وحدة ترابهم.

ونقول إن الكورد ليسوا أقلية، بل القومية الثانية في تركيا التي تضم نصف مساحة كوردستان،ثم هل ثمة قضية قومية لاتثير حساسية لدى النظام المركزي؟ والكورد لايطالبون إلا بما هو حق طبيعي لهم ضمن الكيانات القائمة رغم أن الانفال وتشكيل الدولة القومية على المدى البعيد هو حق وليس طعناً، لذا فإنه لايمكن لأي إنسان ديمقراطي وتحرري إلا أن يؤيد القضية الكوردية، سواء في تركيا أو في الدول الأخرى، فلا يمكن أن نكون مع فلسطين ومع كوسوفو وضد قضية كوردستان.

كما إن القضية الكوردية، ليست مسؤولة ولا مذنبة تجاه تعقيد عملية الإتفاق مع تركيا حول المياه وهي بتاتاً ليست السبب لتوطيد علاقات تركيا بإسرائيل، ومن السذاجة جعل القضية الكوردية حاضنة ذنوب الآخرين.

***

المطلوب استدارة عربية نحو الكورد

الشرق الأوسط ١٩٩٩/٤/٢٦

عودة الى دعوة غسان الإمام الى "استدارة عربية... باتجاه تركيا" في ١٩٩٩/٤/٢٠ نقول أن الكاتب يحاول التمسك بالحكاية القديمة وهي حكاية تقسيم العراق وكأن ذلك مشروع كوردي، وكما حاول بعض العرب في السابق وفي الحاضر الطعن في عدالة القضية الكوردية في العراق، فان الإمام يتعلق ببعبع التقسيم دون عرض الاسس أو المبررات المادية والمعنوية التي تدفعه لقول ذلك، اللهم إلاّ اذا كان القصد استثارة مشاعر العداء ضد الشعب الكوردي.

وقد عدت مؤخراً من كوردستان العراق بعد زيارة دامت أكثر من شهرين للمنطقة التي يصدر فيها نحو ستين مطبوعة يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية، ولم اعثر فيها يوما على مقال واحد يدعو لتقسيم العراق. فالعنوان المرجعي لأفكار الجميع في كوردستان العراق هو نشدان عراق ديمقراطي يضمن الحقوق القومية الكوردية المشروعة وفق نظام فيدرالي، فاين العيب في ذلك؟ ثم إن هذا هو القاسم المشترك لقوى المعارضة العراقية بمختلف تلاوينها الفكرية والقومية.

والمنطقة الآمنة الكوردية كما قلنا مراراً وتكراراً ليست منسلخة عن الوطن العراقي، بل هي منسلخة بموجب القرار الدولي ٦٨٨ عن إرهاب النظام واجهزته القمعية وادارته التي كانت منفصلة عن مصالح الشعب الكوردي. ويعترف الإمام بأنه ليس في هشاشة الديمقراطية التركية ما يغري بالتقليد والحب، لذا فهو يدعو الى علاقة غزل مع تركيا. والكورد- والحق يقال- ليس فيهم من يقف ضد هذه العلاقة الغزلية، فالعالم شبكة من المصالح التي تتعانق حينا وتتطاحن أحيانا، ولكن الكورد بالتأكيد لن يقبلوا أن يكون هذا الغزل على حساب مصالحهم العادلة. ليس المطلوب مزايدة عربية على تركيا أو غيرها بالكورد، وشهر العسل الكوردي- العربي سيدوم ليصبح عصرا من العسل،لأن المصالحة العربية الكوردية الحضارية قائمة ومعظم الكتاب العرب يقفون بالتأكيد على الضفة الأخرى للحقيقة بعيداً عن موقع غسان الإمام.

واعتقد أن نخبة كبيرة من قراء مقال غسان الأمام سيصدمون بما ورد فيه لاسيّما حين يذكر أن العرب ورثوا النزق عن الكورد، والنزق يعني الحمق والجهل، وهذا طرح بدائي مسطح وفيه رائحة عنصرية.

وليكن مسك الختام احالة غسان الأمام الى المقال العقلاني المكتوب بروح عالية من المسؤولية والنضوج من قبل الزميل عدنان حسين في "الشرق الأوسط" يوم

١٩٩٩/٤/٤ بعنوان "حاضر يوغوسلافيا مستقبلنا" والذي ختمه بالقول "ان مستقبل بلاد العرب والشرق الأوسط سيكون صورة من حاضر يوغوسلافيا اذا بقي حكامها وحكوماتها على الحال الراهنة من اللاعقلانية وعدم المسؤولية".

وإذ يقدّم الإمام في ختام مقاله نصيحة عربية للكورد بعد أن اهال على قضيتهم التراب، فإنني اجد من حقي تقديم نصيحة كوردية اليه لأقول له أن لم تكن زهرة فلا تكن شوكا في جسم واحدة من اعدل قضايا التحرر في عالمنا الحالي وهي القضية الكوردية.

***

العودة المستحيلة

الشرق الأوسط ١٩٩٩/٤/٢٦

الحياة ١٩٩٩/٥/١٤

كتب السيد آسو كمال في "الحياة" في ١٩٩٩/٥/٦ عن العودة الى بغداد وأشار - بحق- الى كل الاحراش والاسلاك الشائكة والمطبات الوعرة الفاصلة بين كورد العراق في "الملاذ الآمن" وبين النظام المركزي الذي لايمكن لعاقلين في هذا العالم أن يختلفا على معاداته للديموقراطية وحقوق الأنسان وبزّهُ الجميع في سوابقه المنافية لكل اعراف الحكم (...).

الى هنا يبقى الامر طبيعيا وتحصيلاً لحاصل. فعمليات الانفال التي حصدت أرواح (٢٠٠) الف إنسان كوردي عراقي بريء والسموم الكيمياوية في مدينة حلبجة الشهيدة وكل مفردات حرب الإبادة العنصرية التي شنها النظام في كوردستان ستبقى عناوين بارزة في الذاكرة وسيبقى الغاؤها من سجل التاريخ ومن عنفوان المشاعر امراً تعجيزياً.

ولكن اذ لجأ الكاتب الى تضمين مساهمته مقتطفاً من اقوال السيد مسعود البارزاني الى "الحياة" في آذار (مارس) الماضي نصه "نحن نؤمن بأن حل القضية الكوردية سيتطلب أن نعود الى بغداد"، فانه -اي الكاتب- أخطأ في تحميله مالايحتمل ومن ثم البناء عليه بالشكل الذي فسّره، ونقول ذلك اعتماداً على كل ماصرح به رئيس الحزب الديموقراطي الكوردستاني قبل وبعد هذا التصريح، وايضاً استنادا الى نهج الحزب وممارساته اليومية على ارض الواقع. فالطريق الى بغداد تبقى سالكة من منظور استراتيجي بعيد المدى، ولكن اي بغداد نعني؟ انها بالطبع بغداد الحرية والانفتاح، وبغداد ما بعد التغيير الديمقراطي في العراق، وليس بغداد المكبلة

بأصفاد النظام وعقليته المنغلقة على اية نسمة حرية أو تعددية.

إن مؤدى ماعناه بارزاني في قوله الآنف الذكر لايتعدى مسلّمة بسيطة هي انه مادام "كورد العراق" لايطمحون في تقسيم العراق ومادام الحل المستساغ للقضية الكوردية محلياً وعربياً وإقليمياً ودولياً، هو حل في اطار الوطن العراقي، اذن يبقى التوجه نحو المركز والحوار معه امراً محتماً مستقبلاً في عراق ديموقراطي حر وفق الشعار المركزي لمجمل المعارضة العراقية. فبارزاني في حديثه لم يعن وجود مفاوضات -بكل مالهذه الكلمة من مدلول سياسي محدد- بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والإدارة الكوردية وبين نظام صدام حسين، اما الحوار المتقطع فلم يسجل اي تقدم لأن عقلية النظام من الفها الى يائها مازالت على حالها.

وبعد زيارة لي لكوردستان العراق دامت شهرين ونصف شهر استطيع أن اكون شاهدا عن كثب على أن اعلام الإقليم الكوردي العراقي لايدخر جهدا في التأشير لكل ماإرتكبه ويرتكبه النظام بحق عموم الشعب العراقي، وتكفي متابعة برامج "قناة كوردستان الفضائية" دليلاً على ما نقول، حيث اصبحت هذه القناة النافذة الديمقراطية الوحيدة المطلة على العالم في عراق اصبح فيه مجرد تملك صحن فضائي جريمة يعاقب عليها القانون. إن عوائق الحوار مع بغداد هي ذاتها لم تتغير لأن النظام كما علق احد محرري "الحياة" يتصور انه يعيش في كوكب آخر وليس على الأرض. وفي مقال لنا في "الحياة" يوم ١٩٩٨/١/٢٢ بعنوان "عوائق تقف في وجه الحوار البغدادي -الكوردي" اشرنا بوضوح الى كافة الموانع التي تقف في الطريق ولعل اولها ملف الديمقراطية المثخنة بالجراح في العراق.

اما احداث يوم ٣١ آب (اغسطس) ١٩٩٦ فلا يمكن فهمها وهضمها الا اذا اخذت في سياق الظرف الإقليمي والدولي الذي جعلها ممكنة ولكن- وهذا هو المهم- إن ماجرى ذلك اليوم لم يقرن بأية مخاطر على التجربة، فالجهاز القمعي السلطوي ليس له اي موطئ قدم في الإقليم الكوردي العراقي، ولعل اجماع دول الإتحاد الأوروبي على تطبيق سياسة "البلد الآمن" على المنطقة الآمنة الكوردية، وذلك في ما يخص سياسة اللجوء والهجرة يعتبر دليلاً على الأمن السياسي والإقتصادي السائد في المنطقة بعد توقف الإقتتال الداخلي، لذلك ليطمئن الأخ آسو كمال أن الفريسة ترفض تسليم نفسها للصياد تحت اي ظرف كان، فالضحايا الذين ثاروا في اروع انتفاضة جماهيرية في ربيع عام ١٩٩١ واستطاعوا تسليط الضوء الكاشف على القضية الكوردية والعراقية، الى حد تدويل هذه القضية بصدور القرار (٦٨٨)وما تبعه من تطورات، نقول أن هؤلاء لن يتنازلوا عن هامش الحرية الذي يتمتعون به بعيداً عن إرهاب النظام. ولكن إدامة هذه

الحرية في المنطقة لاشك ترتبط بادامة مشروع السلام في كوردستان العراق كمهمة حياتية محورية تتعلق بها كل القيم الأخرى، نقول ذلك لأن تجربة كورد العراق تآكل الكثير من بريقها بفعل الإقتتال الداخلي العبثي الذي لن يعود اذا ماإستمر اخضرار إتفاقية واشنطن المبرمة بين الحزبين الكورديين في أيلول (سپتمبر) من العام الماضي، التي تتوالى -والحمدالله- حلقات تنفيذها.

اخيراً نؤكد للأخ آسو كمال أن ليس طريق بغداد الحالية المحاصرة بقمع النظام، بل طريق السلام والديمقراطية هو الذي ينقذ تجربة كورد العراق ويجعلها نموذجاً للعراق المستقبلي الديمقراطي.

***

ردا على هارون محمد :

شمال العراق هو كوردستان والبارزاني زعيم مبدئي

القدس العربي ١٩٩٩/٢٢/٥

قرأت بلهفة وتوتر مقال هارون محمد في "القدس العربي" يوم ١٩٩٩/٥/١٧ وكلي تطلع أن يعدد الكاتب نذر الشؤم المحيطة فعلا بالتجربة في الإقليم الكوردي العراقي وادارته الإقليمية، بدافع الحرص على انجاحها وديمومتها. لابهدف تجييش المشاعر ضدها وإعمال معول الهدم والتدمير فيها، والايحاء ولو من طرف خفي بأحقية النظام المركزي في الاجهاز عليها. لقد خاب ظني لأن توليفة المعلومات الإحتمالية الواردة فيه تنم عن تمني المواجهة وتسخين الحديد البارد وصب الزيت على النار، من قبل قلم يصطف ضمن المعارضة ولكنه منهمك في ضعضعة عظامها، والتشكيك في صدقية ومكانة احد أهم اوتادها ونعني الحزب الديمقراطي الكوردستاني وزعيمه مسعود البارزاني الذي يتجذر وجوده وحضوره داخل المجتمع الكوردي والعراقي كاحد ابرز المدافعين عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح والحوار الحضاري وصفاء النية والموقف. فالمقال يبدو وكأنه مجهز في غرفة عمليات مختصة بقطف اي غصن اخضر والتعمية على براعم السلام التي إشرأبت اعناقها خلف ركام حرائق وخرائب الإقتتال الداخلي، فالكاتب وهو جالس في لندن بمنأى عن مصادر الخبر وعن الاحتكاك بالارض والواقع المعاش، اقحم كوردستان في حرب متوقعة وحدد خنادق المشاركين وجبهات اصطفافهم دون أن يقدم لنا إلاّ الفأل الخاطئ.

ومايهمنا هو الاطار الپانورامي للحرب القادمة المرتقبة في كوردستان العراق التي يصر الكاتب "المعارض" على تسميتها بشمال العراق رغم أن اسم كوردستان مثبت في الإعلام الرسمي للنظام وفي دستور العراق.

وبعد قراءة متأنية للمقال وجدت من الضروري تسجيل مايأتي:

١- إن استياء النظام العراقي وتبرمه من التجربة في الملاذ الآمن الكوردي حالة دائمة ومعلنة على رؤوس الاشهاد منذ أن انسلخ الإقليم الكوردي العراقي عن سطوة قمعه وسيبقى النظام في واد وكوردستان العراق في وادٍ آخر لأن بينهما جبلاً من الذكريات المرة وهي تتجدد يوميا كلما اكتشفت مقبرة جماعية جديدة.

وعداء النظام للتجربة الكوردية ليست حالة مؤقتة وليس مقتصرا على هذا الحزب الكوردي أو ذاك، ولو تسنى له فانه لن يقصر لحظة في اللجوء الى الأسلوب الاستئصالي الاجتثاثي، اما ارتكانه في اعلامه الظاهري الى تفضيل هذه القوة الكوردية أو تلك أو الايحاء بانه قريب من هذا وبعيد عن ذاك فهو امر تكتيكي لحظوي يتوخى به اقتناص مغنم معين ودرء مغرم، لذلك فلا وجود لإتفاقية سرية أو علنية، بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني الا في مخيلة الكاتب الذي ندعوه بالحاج للاتيان بما يجعل الآخرين يأخذون كلامه على محمل الجد، وبما أن الكاتب عراقي ومعارض فانه مطلع على خلفيات ما جرى يوم ٣١ آب (اغسطس) ١٩٩٦ ويعلم علم اليقين أن ارض كوردستان العراق غدت مستباحة من التدخل الإيراني السافر ماجعل اللجوء الى الحنظل مستساغا تلافيا لما هو امرّ وانكى، ولكن القاصي والداني يدرك أن الوجود المعنوي والمادي لتأثيرات النظام معدومة في الإقليم، فاذ تختلف الأحزاب الكوردية في مواقفها وتتطاحن في خنادقها، فانها لايمكن الا أن تتناغم مع المصلحة الحياتية لـ(٣,٥)مليون إنسان كوردي يتوقون الى الحياة والتنمية والسلام بمنآى عن الإحتراب المسلح، ولكن ايضاً بمنأى عن النظام في بغداد.

٢- لجأ الكاتب الى الانتقائية لدق اسفين في جسم السلام في كوردستان فسجل أن السليمانية اوفر حظا في الانتعاش الإقتصادي في محاولة لاثارة حفيظة البارزاني وهذه سذاجة في الطرح تؤشر لقصور معلوماتي هائل وجهل بشخصية مسعود البارزاني الذي يفضل السليمانية العزيزة حتى على مسقط رأسه (بارزان) لأنه سليل تراث وطني متراكم وليس اسير قوقعة منطق مناطقي أو لهجوي أو عشائري، لذا فالواقع هو أن السليمانية وأربيل ودهوك تنعم جميعا بثمار السلام والإستقرار

بفعل إتفاق السلام المبرم بين الحزبين الكورديين، وإننا ندعو الكاتب لزيارة كوردستان العراق ليرى أن الانتعاش في المنطقة حالة عامة وشاملة معلقة اصلا وأساسا بالهدوء السائد حاليا والذي يعني فيما يعنيه إلغاء عسكرة المجتمع وتوجيه الموارد للبناء.

٣- يريد الكاتب عمدا اثارة الشكوك والظنون حول مبدئية مسعود البارزاني وصلابة موقفه فيوحي بوصفه بالمراوحة والتردد في التودد للنظام من جهة والانضمام الى مبادرات احياء المؤتمر الوطني العراقي من جهة أخرى. وذلك بغية رمي صخرة في المياه أملا في تحريك سواكن الآخرين للخوض في موضوع لامبرر له، اللهم إلاّ اطالة امد التشرذم والانقسام في صفوف المعارضة العراقية.

إن الحزب الديمقراطي الكوردستاني تكوين سياسي ذو طبيعة معارضة حضارية منذ لحظة التأسيس في ١٦ آب (اغسطس) ١٩٤٦ ولغاية الان، ولكن معارضته مدروسة وذات اشتراطات وحدود مقيدة بمصلحة الجماهير الكوردية التي ينطلق باسمها ويأتمن على رغباتها، فالمعارضة ليست مهنة تمارس باطلاق وكيفما اتفق بقدر ماهي موقف يمتد وينحسر وفق سياقات اللحظة والامكانية وإحتمالات النجاح والفشل والقدرة على تقمص المصلحة العامة، فالثوابت التي يرتكز اليها الحزب في تعامله مع الآخرين العاملين ضمن البيت العراقي المعارض من حيث الدعوة والعمل للتغيير الديمقراطي في العراق باقية، ولكن يبقى الجسم السياسي الحاكم فعليا في كوردستان العراق ذا خصوصية وذا حالة مختلفة كماً وكيفاً عن وضع الأطراف الأخرى، فالجانب الكوردي يتوفر على إدارة ذاتية ومنطقة محررة من اجهزة النظام ومؤسسات ومرافق مدنية يقطنها الملايين من السكان الطامحين في الحياة والاعمار والتنمية، ولابد أن تؤخذ مصالحهم اليومية بعين الإعتبار والتقدير، وهذا هو المنطلق الأساسي الذي يفرض على الجانب الكوردي أن يغربل الأفكار والمبادرات وان ينشد ضمانات معينة وان تكون خطاه وئيدة ثقيلة لافجّة ومتسرعة.

٤- نسأل الكاتب عن الاوساط التي قامت بتخطئة السيد مسعود البارزاني داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني، اما اذا كان القصد الحوارات التي تنتعش داخل الحزب حول مواقف مفصلية فان ذلك مؤشر اخر على مرونة الحزب وقدرته على استيعاب كل الوان الطيف لبلورة موقف معين، وهذا بالذات دليل حضارية البارزاني وانفتاحه وتوقه للتجديد في الحزب والإدارة، ولعل جولاته التي استغرقت شهوراً في مدن وقصبات الإقليم للتوصل الى خلاصات عملية وآليات لاجتثاث

ظاهرة الفساد الإداري في كوردستان العراق تؤكد من جديد انه قريب الى حد التماس من نبض الشعب الكوردي ومتقمص لروح العصر، وصناديق إنتخابات عام ١٩٩٢ في كوردستان العراق اعطت بالارقام حجم رصيد هذا الرجل الذي نذر نفسه للنضال التحرري والسلام والديمقراطية.

***

القمع القومي لا المال هو جذر الثورة الكوردية

القدس العربي ١٩٩٩/٦/٨

كلما اشتدت وتيرة الكتابات الخضراء البناءة والمحفزة على تفعيل مسيرة السلام والتنمية في كوردستان العراق، وضخ دماء جديدة في جسم المعارضة العراقية ولمِّ شملها وتطوير آليات عملها، تتكاثر بالمقابل الاقلام التي لا مهنة لها الا كيل الاتهامات واثارة ما من شأنه هدم مايبنيه الآخرون.

ودليلنا على ذلك مقال د. كمال مجيد (العراقيون نوعان مثل الكورد وبقية شعوب العالم) في "القدس العربي" يوم ١٩٩٩/٥/٢٧ الذي رمى فيه الكاتب سهامه يمينا ويساراً، ولكنه لم يصب مقتلا لانه كان عشوائيا في الطرق على وتر المصلحة المادية في تفسير ظواهر ومنعطفات وطنية ومحطات نضالية زكاها التاريخ واجمع عليها العراقيون كجزء من ذاكرتهم الجمعية. لاكما يشوهها كاتب المقال بالتعويل على نظرية المؤامرة في تفسير انطلاقة "الثورة الكوردية" وانبثاق المعارضة العراقية بكل تلاوينها الإثنية والدينية والفكرية والتي جمعها الكاتب في سلة واحدة وحكم عليها بالموت الإعتباري ليقدم بذلك -شاء ام ابي- ارضية خصبة للنظام ومبرراً آخر للادعاء بان لا معارضة نزيهة في العراق ولمواصلة تسويق مزاعمه في ربط مصير الوطن وسيادته ووحدته ببقائه وديمومته.

ربما كانت اصدق عبارة اوردها الكاتب في المقال هي مقولة هيغل "ان العالم الإقتصادي يولد الصراع" ولكنه استغل هذا التضمين واستثمره في غير موقعه تماما. وفيما يلي امثلة على ما نقول:

١- لقد حصر الكاتب وهو كوردي ويفترض انه قريب بالضرورة من تاريخ شعبه، علة اكبر ثورة تحررية كوردية في عام ١٩٦١ بصدور قانون الاصلاح الزراعي، ويصور البارزاني الراحل كاقطاعي متمرد على هذا القانون، ويحق لنا القول أن هذا

التفسير المشوه لاينسجم مع تحليل أي حزب سياسي عراقي أو اي كان عراقيا أو اجنبيا كتب عن هذه الثورة الشعبية التحررية، بإستثناء الكتاب المرتبطين باجهزة السلطة واعلامها، فالثورة انطلقت بعد أن رفضت الحكومة العراقية حينها المطالب القومية المشروعة للشعب الكوردي وسحبت اجازة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وجردت حملاتها العسكرية على كوردستان العراق، وكان البارزاني كرمز نضالي هو مفجّر هذه الثورة، ومعه كل قطاعات الشعب الكوردي بإعتباره رائدا للنضال التحرري ومجاهدا من اجل الحق والعدالة. وحاكماً لامالكا ونافذاً لامتسلطاً، ولذلك كان اعداؤه الإقطاعيون الذين شكلت منهم الحكومات العراقية المتعاقبة "قوات الفرسان" وجهزتهم بالمال والسلاح لمعاداة البارزاني وثورة أيلول الدفاعية التي توجت انتصارها بإتفاقية آذار عام ١٩٧٠ وانتزعت الإعتراف بهوية الشعب الكوردي وحقوقه.

٢- يستخدم الكاتب كلمات غير لائقة تنم عن عقلية ضيقة في تفسير طريقة استحصال الموارد المالية في الإقليم الكوردي العراقي فواردات المعابر الحدودية برأيه رشوة يستلمها مسعود البارزاني، دون أن يكلف نفسه ولو جزء ضئيلا من العناء ليدرك أن هذه العائدات تستحصل من خلال اجهزة الإدارة الإقليمية وتصرف على إعادة اعمار كوردستان وهي أساسا ملك الشعب، ولكنها كانت سابقا تجبى وترسل للخزينة المركزية في بغداد لتعود على هيئة اسلحة تدميرية فتاكة يقتل بها شعب كوردستان.

أما اذا كان الكاتب يريد الايحاء لظاهرة الفساد الإداري في الإقليم، فنقول أن هذه الظاهرة ليست حكرا على الإدارة الكوردية فهي متفشية في بقاع عديدة من العالم وهي بالفعل ظاهرة بغيضة، ولا بد من اسئصالها. حريّ بالاشارة أن السيد مسعود البارزاني كرس جلّ جهده في الشهور الأخيرة لهذه المهمة المقدسة خلال جولات تفقدية لاغلب مناطق كوردستان بهدف مكافحة الفساد وتنقية الادارات من شوائب هذا العارض المرضى.

٣- إن طغيان الانظمة العراقية المتعاقبة وفقدان الديمقراطية والغبن التاريخي اللاحق بالشعب الكوردي هي التي تشكل علة وجذر انطلاق الانتفاضات والثورات الكوردية على مر التاريخ ومنها ثورة ١٩٦١ التحررية في كوردستان العراق والتي اصبحت منذ أوائل الستينات الملجأ الآمن لكل القوى العراقية الطامحة في الديمقراطية والحرية، فالعلة ليست كما يوحي الكاتب مجرد مؤامرة من اجل المال

والمصلحة المادية، فهذا تمريغ في الوحل لكل القيم التي ناضل من اجلها الكورد ومعهم المعارضون العراقيون الآخرون.

٤- طعن الكاتب من خلال تفسيره المادي الإقتصادي النفعي المزعوم في مجمل مواقف الحزب الشيوعي العراقي والمعارضة الإسلامية، لكي يوهم للقارىء أن المعارضة العراقية تفتقر الى القيم السياسية ومشروعية العمل، والواقع أن المعارضة العراقية بغض النظر عن مواطن ضعفها تعتبر واحدة من أكثر معارضات العالم احقية وعدالة، لأنها تقف في مواجهة نظام لم يترك اي منفذ للتعبير والإختلاف في الرأي، ولكن هذه المعارضة مظلومة وظلم اهل البيت لها هو بقدر ظلم النظام أحيانا، ومقال د. كمال مجيد هو نموذج حافل بالتجني وقصر النظر والطعن المجاني في كل اداء العمل العراقي المعارض قديما وحديثا.

***

حول إجتماع المؤتمر الوطني الكوردستاني

جريدة الزمان ١٩٩٩/٦/٢٦

لايمكن لأي تكوين سياسي يحترم ذاته وجمهوره وشعاراته ونسيجه الفكري- الآيديولوجي، إلاّ أن يحث الخطى ويحرق الزمن لمراكمة رصيده ووزنه الإعتباري وصولاً الى مصداقية القول والفعل والأهداف التي يتوق لإنجازها، حتى لو افضى به هذا النهج الصحيح الى التضحية أحيانا بشيء من طروحاته التي يتبناها أو بجملة من ممارساته ومواقفه التطبيقية، فالموقف المتفوق هو الفعل المزكى من الضمير الشعبي العام والآيديولوجيا التي تطمح الى الخروج من بطون الكتب والبيانات التنظيرية لتعشب ضمن تضاريس الواقع المعاش، هي بالذات الآيديولوجيا المتناغمة مع المصلحة العامة وطموح الملايين.

والسؤال الكبير والملح في الحالة الكوردية هو هل ينطبق ولو جزء مما ذكرناه على حزب العمال الكوردستاني الذي انطلق أواخر السبعينات بديلا لكل ما سبقه وواكبه من أحزاب وتنظيمات كوردية وفق ما ادعى حينذاك، ولكن انتهى به الحال راهنا الى مأزق فكري - معنوي - سياسي وعسكري كبير قلما حصل في تاريخ الحركات التحررية؟

وعلة ذلك تكمن أساسا في ارتكان الحزب الى التشنج والتطرف والتظاهر بالتمايز والتفرد في كل شيء لمجرد أن يبقى حديث العامة تلوكه الالسن كيفما اتفق، فالمهم أن

يبقى في الواجهة، لذلك اطبق حزب العمال الكوردستاني في وثائقه التأسيسية عينيه وتعامى عن التاريخ الكوردي وجغرافية كوردستان المعقدة وغض النظر عن كل الالغام الإقليمية والدولية المزروعة في طريق الحركة الكوردية وانتهج اللاعقلانية، واللامعقولية والطوباوية، بدل الإنسجام مع الممكن ومع فروض المرحلة، فرفع وبجرة قلم شعار إستقلال كوردستان بكافة اجزائها، ودعا الى المؤتمر القومي الكوردستاني وفق مقاييسه ومعاييره السياسية والفكرية، واستمر منذ تأسيسه في حملة تخوين الجميع، وتظاهر ببلورة جبهة قومية تحت مظلته، ورفض التعاون مع اي حزب كوردستاني في اية بقعة كانت، لأن الجميع- الا هو- يدعو الى الحل المرحلي الواقعي للقضية الكوردية، وحتى حين اختطف زعيمه (عبدالله أوجلان) فشل الحزب في توظيف هذه اللحظة لصالح انتزاع تعاطف الآخرين معه، حيث واصل خطواته الاستفزازية تجاه الفصائل الكوردية، وبالذات تجاه التجربة في كوردستان العراق، وفي التفاتة تظاهراتية غير مبرمجة كالعادة دعا الى مؤتمر قومي كوردي شامل في ١٩٩٩/٥/٢٤ في هولندا دون أن يكون قد تهيأت ابسط الشروط والتحضيرات لمثل هكذا مؤتمر يفترض به انه يضم اغلب فئات وشرائح المجتمع الكوردي وممثلي أحزابه وفاعلياته الأساسية، لكي يعتبر بالفعل "نقلة نوعية في التفكير الكوردي" وفق ما اشار وبصفاء نية الاستاذ "احمد حمروش" في "الشرق الأوسط" يوم ١٩٩٩/٥/٢٥، وليس محاولة ترقيعية يلتجأ اليها حزب قطع عمدا جسوره مع الكل الى حد بلغ حالة انفصام غريبة مع ذاته ومع شعاراته ومع القضية التي ينطق باسمها، لذلك كانت الـ(دي فيلت) الألمانية محقة في التساؤل في اليوم التالي لإجتماع هولندا حول مدى اهلية المجتمعين في التحدث باسم كل شعب كوردستان في كافة الأجزاء.

ولابد من الاشارة هنا الى أن الرأي العام الكوردي يسير بعكس اتجاه إجتماع هولندا الفاقد الاهلية، ففي نفس يوم التئامه اجتمع تحالف الأحزاب الكوردستانية في ألمانيا المؤلف من(١٤)حزباً كوردياً في مدينة (بون) لادانة النشاط التخريبي لحزب العمال الكوردستاني في كوردستان العراق في خطوة تضامنية مع بيان الـ(٢٤) حزبا كوردستانيا في الإقليم الكوردي العراقي، وايضاً مع بيان الـ(٢٧) تنظيما ديمقراطيا ومهنيا في الإقليم، حيث اجمع الجميع على شجب قتل الاطفال والنساء وسرقة مواشي الاهالي وزرع الالغام في المنطقة الكوردية الآمنة، لأن عرقلة البناء والتنمية والسلام في كوردستان هو بالذات مايريده الأعداء الإستراتيجيون للشعب الكوردي. إن حزب العمال الكوردستاني يعتبر حالياً الطرف الأقل صدقية ضمن الجسم السياسي الكوردي، نظراً لغرائبية تفكيره وطرق عمله، لذا فهو ابطل بنفسه صلاحية الدعوة للمؤتمر القومي

الكوردي الذي هو هدف نبيل وقديم أساسا وليس من اختراعات هذا الحزب بالذات والذي قضم رصيده السياسي لجملة أسباب ننتقي منها ما يلي:

١- لقد اقحم حزب العمال الكوردستاني نفسه دون اي مبرر في حرب عبثية مع الإدارة والپرلمان الإقليميين في كوردستان العراق، منذ استحداث المنطقة الآمنة وبروز بشائر الحرية والخلاص في هذا الجزء من كوردستان، وترك حزب العمال ساحته الاصلية موظفا كل طاقاته البشرية والتعبوية والإعلامية ضد كورد العراق في وقت يقتضي العقل والمنطق السليم أن يكون الى جانبهم، فلا يمكنه جمع النقائض بمعنى الدعوة لإستقلال كوردستان والعمل على قتل حرية الإنسان الكوردي وفرصته في الخلاص في جزء من وطنه.

٢- حزب العمال الكوردستاني يصر على عدم التعايش مع الآخرين لأنه بديل الجميع كما يزعم، لذلك رفع شعار "الحرب الإقتصادية" ضد الملاذ الآمن، وفي مؤتمره السادس المنعقد عقب اختطاف أوجلان جعل هذه الحرب المجنونة ضد بني جلدته الكورد قرارا سياسيا ضمن قرارات المؤتمر ليعوض بذلك عن فشله في ساحته الاصلية التي لم يستطع وخلال (١٦) سنة من إعلان الكفاح المسلح أن يهيئ له فيها موطئ قدم آمن، لذا حول "حربه الشعبية" الى أعمال انتقامية صبيانية وإرهابية ضد السكان العزل والمرافق المدنية والقرى التي بنيت مؤخرا في كوردستان العراق بفعل جهود الإدارة الكوردية، ومنظمات الاغاثة الدولية، وكانت الجريمة المروعة التي اقدم عليها يوم ١٩٩٩/٥/١٣ وراح ضحيتها اربعة اطفال في عمر الزهور هي القشة التي قصمت ظهر البعير لدى كل إنسان كوردي ذي وجدان. وتوالى وما زال سيل بيانات الشجب والسخط، لاسيما وانه جرى التمثيل بجثث هؤلاء الابرياء وقطع رؤوسهم، وتسابقت صحيفة الـ(اوزگور بوليتيك) الموالية لـ (پ.ك.ك) لنعت القتلى "بالخونة" والمفارقة المرّة أن آباء هؤلاء الضحايا الابرياء قُتلوا خلال عمليات الانفال السيئة الصيت.

ومن يطالع صحافة الـ(پ.ك.ك) هذه الأيام يجدها حافلة باخبار زرع الالغام ولكن اين؟ في كوردستان العراق المزروعة اصلاً بأكثر من (١٠) ملايين لغم منذ الحرب العراقية -الإيرانية وحقبة حرب الإبادة العنصرية للنظام ضد شعب كوردستان.

٣- يرفض الـ(پ.ك.ك) اي تحالف جبهوي وليست له سوابق جبهوية لا مع الأحزاب الكوردستانية ولا مع الأحزاب المتفهمة لعدالة القضية الكوردية في المحيط الإقليمي فكيف نصدق دعواه بنصب خيمة واسعة وعريضة بقدر سعة كوردستان في وقت لم

يخرج فيها الحزب من عنق الزجاجة التي اوقع نفسه فيها، ومازال عدد من انصاره قيد الاستجواب والملاحقة القضائية في ألمانيا بسبب اعتدائهم بالسكاكين والهراوات على إجتماع كوردستاني شامل بعنوان "خطوة نحو المؤتمر القومي الكوردستاني" انعقد عام ١٩٩٧ في مدينة (بون). الم يكن الاجدر به الانضمام الى إجتماع الفصائل الكوردستانية بدل افشاله تأكيدا لنهجه في الإحتكار في كل شئ؟

٤- في أوروپا الحق الـ(پ.ك.ك) ابلغ الاضرار بسمعة ونضارة وعدالة والقضية الكوردية لما ارتكب فيها من أعمال عنف ضد الخصوم السياسيين وفي اطار التصفيات الداخلية، ولكن ايضاً ضد الأمن الداخلي للاقطار الأوروپية وبالذات في ألمانيا، لذا صدر قانون منع نشاط هذا الحزب في اول سابقة في التاريخ الكوردي، في وقت بنى الشعب الكوردي بأحزابه ومؤسساته وجاليته النشطة صداقات متنامية لقضيته العادلة، ولعل غلق قناة الـ (ميد تي ڤي) الفضائية الموالية لـ(پ.ك.ك) يقدم مؤشرا اخر على المدى الذي بلغه هذا الحزب في الابتعاد عن مضمون شعاراته وموجبات العمل النضالي الحضاري.

لذلك كله نقول نعم للنقلة النوعية في التفكير الكوردي، ونعم لتوطيد الاواصر الوطنية والقومية، ونعم لبلورة قواسم العمل الكوردي الوطني المشترك واستحداث آليات عمل متناسبة مع الواقع الراهن، ولكن بشروط ورؤية أخرى غير التي التأم من اجلها انصار الـ(پ.ك.ك) في هولندا. فالخيمة القومية، ينبغي أن تقام على اوتادها القوية المؤثرة وان تنصب بعد أن تختمر جيدا وتنضج ظروف اقامتها، وان تكون سبب إتحاد وليس اداة تشرذم جديدة، وان تكون- وهذا هو بيت القصيد- ناقلة لرسالة شعب ونضاله التحرري لإرساله حزب معين بذاته.

***

جيڤارا مازال رمزا للمقاومة ونزعة التغيير

الزمان ١٩٩٩/٦/٢٨

ما الذي يعطر إسم تشي جيفارا بكل هذه الجاذبية المفعمة برائحة السحر والاسطورة والرومانسية الحالمة بعد أكثر من ثلاثين عاما على وفاته... ولماذا تحول الى رمز للثورة والتغيير والانتصار للإنسان المعذب في كل مكان، ولاسيّما في قارة الجوع والفقر والتبعية، القارة اللاتينية التي ظلت أمريكا تنظر اليها كحديقة خلفية، ولماذا بقي

جيفارا الأكثر حضورا واخضرارا في ذاكرة الشباب المتطلع الى الإنعطاف بهذا العالم المضطرب الى شواطىء العدالة الإجتماعية، رغم مسيرته الكفاحية القصيرة الاجل ورغم انكساراته في (الكونغو) وفي بوليفيا. هل يعزى ذلك لنمط الحياة التي ارتضاها هذا الثائر الحالم لنفسه فلم تفسده السلطة بعد نجاح الثورة الكوبية في ١٩٥٩، حيث سرعان ما هجر منصب الوزير وتسلل الى افريقيا بحثا عن بؤرة تفجير أخرى لاشعال لهيب الثورة ضد التبعية والاستغلال، ام لانه رفض ذهنية الآيديولوجيا المحنطة وقوالبها الجاهزة وتلمس الإنسان ومعاناته مادة لطموحه التغييري الدائم والعارم؟ ام أن سيرة حياته المتنوعة المحطات حولته بالضرورة الى رمز للتضامن الأممي الخلاق والطبيعي بعيدا عن الشعارات الفضفاضة.

ربما كل ذلك مضافا اليه فلسفته في الحرب الثورية في عقد الستينات المواتي لهذا المد وايضاً موقفه الإنساني الذي كان يرى في تغيير الإنسان منطلقا لتغيير العالم، وهي التي خلدته طريا في الذاكرة الشعبية وكأنه حزمة احلام في انتظار التحقق واسطورة مكتنزة بالفجاءة والاندهاش، ومشروعا لإنسان المستقبل الرافض للامر الواقع والحامل لقدرة فائقة على المغامرة دونما تهيب من المواقف وغابات الاشواك.

في رسالته الوداعية التي اودعها لدى كاسترو عام ١٩٦٥ يذكر جيفارا "انا ذاهب الى بقعة أخرى لاطلاق الثورة ضد الامبريالية" وكان أن اختار الكونغو في القارة السوداء وبقي فيها سرا فترة ارخها في كتاب "السنة التي لم نكن فيها في اي مكان" وسرعان ماغادرها الى (بوليفيا)، حيث قاد حرب عصابات في ادغالها وفي يوم ١٩٦٧/١٠/٨ اعتقل ليقتل في اليوم التالي من قبل جندي بوليفي لم يجرأ على اطلاق الرصاص عليه الا بعد أن سكر وكأنه كان يتنبأ بان رصاصاته التي ستخترق جسد جيفارا سترسم لهذا الجسد سيرة حياة أخرى بدل افنائه، وهو ما حصل بالفعل فالرفات الذي اكتشف ونقل الى كوبا في شهر تموز (يوليو)١٩٩٧ كان كما سجلت صحيفة الـ(بايس) الاسبانية فرصة لاستحضار اللحظات الأخيرة لحياة هذا الرمز الإنساني،وتفاصيل ذلك اليوم الذي سقط جسده مضرجاً بدمائه راسما بنزيفه صورة آخر الثوار الحالمين، ولكنها الصورة التي لايعلوها غبار النسيان.

إن القارئ لكتب "انتصار الأمل/ يوميات الثورة الكوبية" و"يوميات جيفارا في بوليفيا" و"جيفارا الإنسان الجديد" وغيرها مما كتبه أو كُتب عن هذا الثائر- الرمز سيستوعب حجم الهمّ الإنساني والنقاء الثوري الذي كان يحمله هذا الرجل، وموهبته الفذة في الذوبان في هموم الآخرين، وتوقه اللامحدود في الحلم بتغيير العالم والإنسان

من التبعية والاستغلال والظلم، وهو توق نفتقده لدى الكثيرين من ثوار الامس الخارجين تواً من خندق الثورة الى قصر الدولة في بؤر عديدة كما في كوردستان العراق مثلا والتي بلغ فيها السيل الزبى لكثرة ماتراكم على جسدها من اورام وتقيحات الفساد المالي ما استدعى قيام مسعود بارزاني بحملة عارمة لا تخشى في الحق لومة لائم لإعادة العافية والصحة الى جسد التجربة الكوردية في الإدارة، ومازلت اتذكر تصريحاته المدوية اثناء تواجدي في كوردستان والتي حمل فيها على المتكرشين واثنى على شهداء القيم والمثل الذين مازالت عوائلهم بانتظار ثمرة يانعة مقابل عطائهم.

لقد كان اغتيال جيفارا مشروعاً أمريكيا فاشلا لذا كان رفاته الخارج من جذور الارض عام١٩٩٧ مهرجان غضب وثورة وتوق متجدد لرفض اغلال التبعية، وكأن الناس بذلك في كل عناوين البؤس في العالم كانوا يعبرون عن حبهم اللامتناهي لرمز كجيفارا يبقى متجذرا في الذاكرة، ومأأشد فرحة رفاته وهو يرقد قريباً من جبال الـ(سيرا مايسترا) لأن الثورة الكوبية مازالت واقفة على قدميها رغم عاصفة الانهيار التي أتت على الثورات الاشتراكية في أوروبا الشرقية في الفترة (٨٩-٩٣).

ان جيفارا الذي حاربته كل قوى التبعية والظلام لأنه جابه جبروتها وكشف عريها بعزيمة إنسانية لاتلين، والذي ادارت له الشيوعية ظهرها ردحا طويلا من الزمن لانه بلور للثورة آلية ومشروعا للتغيير خارج سياقاتها الآيديولوجية، بقي وسيبقى حافلا بأزاهير الامل نحو الغد الافضل، محرضا دائما على المقاومة التي لا تروض، والتي لا تغتر اذا انتصرت ولا ترضخ اذا ماتعثرت.

في ١٩٦٥/٢/٢٤ صرح جيفارا "ينبغي الرد على عدوان أمريكا في ڤيتنام والكونغو، وعلينا تجهيز هذه الشعوب بكل الوسائل المتاحة للدفاع عن نفسها، ومهمتنا التضامن معهم بلا شروط"، فكم كانت مفارقة جميلة ورومانسية كمماته، أن يعود رفاته الى الحياة في اجواء الاطاحة بالدكتاتورية في الكونغو- زائير محققة حلمه في البقعة التي قضى فيها عاما يزرع فيها بذور الثورة والتمرد.

إن هذا الرمز يكتسب لدينا هذه الأيام في كوردستان طعماً خاصاً ونكهة أخرى في اجواء الحرب العادلة التي نخوضها ضد قوى التطفل والثراء السريع والتي تنتهك يوميا عباءة الثورة وتقطع غصونها الخضراء.

***

الجالية الكوردية والإعتراف القانوني

الزمان ١٩٩٩/٧/١

في ١٩٩٧/٦/٢٩ اثناء حضوري للمؤتمر السنوي لأحد التنظيمات الكوردية في ألمانيا، شد انتباهي بين حشد الشعارات السياسية شعار ينطوي على أهمية واحقية متميزة يدعو الى ضرورة الإعتراف القانوني بالجالية الكوردية في ألمانيا وأوروبا، وكان تأكيد المداخلات على هذا الطموح المشروع ومسوغاته ومبرراته كحق من حقوق الإنسان الكوردي ذا مغزى اضافي لأن بين الحضور كان ثمة مجموعة من السياسيين والبرلمانيين والمهتمين بالشؤون الكوردية، وبعضهم القى كلمات تنضح بتعاطف مميز تجاه هموم الشعب الكوردي.

ففي ألمانيا وحدها يقطن وفق احصاءات الدولة نحو نصف مليون كردي يشكلون جالية يتنامى دورها باضطراد وتتمتع بقسط من الامتيازات وتسهيلات العمل وحق تشكيل الهيئات والمؤسسات الثقافية والإعلامية والإجتماعية، وهي تحتل حيزاً جيداً ضمن النشاط الأجنبي السياسي والثقافي في ألمانيا وعموم اقطار أوروبا. ولكن يبقى امرا مشوبا بالمرارة والغبن أن لاتتمتع هذه الجالية الكبيرة والناهضة بالإعتراف الصريح بخصوصيتها الإثنية اسوة بالجاليات الأخرى وكأن التجزئة والغبن التاريخي اللاحق بالإنسان الكوردي وانتمائه في وطنه كوردستان، حيث تعزل حتى احلامه بالاسلاك الشائكة. هو القدر المحتوم على الساحة الاوروبية فلا يؤخذ انتماؤه القومي وهويته الأصلية بنظر الإعتبار.

يقول كتاب "معجم الاقليات العرقية في ألمانيا" إن كل المعلومات الاحصائية عن الكورد في ألمانيا تبقى ذات طابع تقديري تخميني لانهم مازال ينظر اليهم كأقليات عرقية في دولهم الأصلية ولا يعالج وضعهم القانوني كجالية قائمة بذاتها.

لذلك فان إستمرار المطالبة بالإعتراف القانوني الكامل بالجالية الكوردية، يبقى احدى المهمات المركزية التي لابد أن تحشد وتتضافر لها جهود التنظيمات والمراكز الثقافية الكوردية المعنية بتفعيل النشاط الكوردي في أوروبا ومنها مثالاً لاحصرا المركز الثقافي الكوردي في باريس والمركز الثقافي الكوردي في لندن والمركز الثقافي الكوردي للمعلومات والوثائق في ألمانيا وغيرها، وكان بودنا أن نلح على الأحزاب السياسية الكوردية ذات الوجود الكثيف في أوروبا للانغمار في هذا المضمار، ولكن بما انها منهمكة اصلا في حلبة صراعاتها وتناحراتها البدائية العبثية فلا نظن انها ستسخر

أدبياتها للدعوة لهذه المهمة الحضارية، رغم انها تقع ضمن صلب مهامها.

لقد انبثق أول تنظيم كردي لتعبئة الجالية والتعريف بقضية الشعب الكوردي في أوروبا عام ١٩٥٦ باسم جمعية الطلبة الكورد في أوروبا، ولكن الفاعليات الكوردية المتنوعة الاشكال والإهتمامات تبلغ اليوم المئات ولا شك أن الإعتراف القانوني- وليس فقط إعتراف الامر الواقع أو الإعتراف الضمني- بالجالية الكوردية سيفتح أمامها أبوابا وآفاقا أكثر رحابة لاستثمار مناخ الحرية الرحبة في القارة الاوروبية وتوسيع رقعة الحقوق وتعويض ولو جزء يسير من الغبن الذي يلحق بالمواطن الكوردي في وطنه الاصلي والمسخ والتهميش اللذين تتعرض لهما هويته القومية.

***

نوشيروان مصطفى في كتابه "الدوامة" :
لتكن الكتابة الكوردية خطابا للسلام لا مدخلاً للحرب

جريدة الزمان ١٩٩٩/٧/٤

الثورات الكوردية هي الحالة التاريخية المستديمة والموصولة الحلقات بشكل لاتقبل الانفصام منذ أن تحسس الشعب الكوردي جذوره الاولى ووجدها تتقطع وينقطع نسغها بمعاول التدمير، فدأب على الانتفاض لإعادة التوازن الى الميزان المختل، فالثورة هي الفصل التاريخي الطاغي بحكم أن الكورد لم يكونوا يوما سادة ارضهم، ولكن هذه الحالة الثورية بقدر غناها المعلوماتي وثرائها المعنوي، وبكل ماتحتويه من دقائق وتفاصيل ومنعطفات مازالت اشبه ما تكون بالسفر المغلق الا ما ندر، والندرة تتجلى أكثر في كتب السير والذكريات واليوميات التي لابد أن ينهض لإنجازها كل المساهمين في النضال التحرري الكوردي بغض النظر عن منابرهم الفكرية ومواقعهم القيادية.

وبتحسس هذه الحقيقة المرّة، فان ايجابية كتاب "الدوامة" الصادر هذا العام عن نوشيروان مصطفى الرجل الثاني في قيادة الإتحاد الوطني الكوردستاني تكمن في انه سجل كما وافراً من الأحداث والشؤون والهموم التي مرت بالمؤلف، ولاجدال أن الكورد بحاجة لحشد من الاقلام يوظف لمهنة سبر اغوار الثورة الكوردية الدائمة وازاحة الستائر عن خلفياتها ويومياتها وتعرية دواخلها وفتح مغاليقها، فمثل هذه الكتب تبتعد عن السرد التاريخي، وايضاً عن خطاب البيان السياسي الذي عادة ما لايمس الحدث الا بعمومية.

يسجل نوشيروان احداث كوردستان العراق من منطلق حزبه في الفترة ١٩٨٤-١٩٨٨ التي شهدت مفاوضات الإتحاد الوطني الكوردستاني مع الحكومة العراقية، ومعارك (اوك) ضد كل الأحزاب الكوردستانية المؤتلفة في حينها ضمن الجبهة الوطنية الديمقراطية العراقية (جود) المنبثقة عام ١٩٨٠، وعمليات الانفال التي شكلت ذروة حرب الإبادة العنصرية للنظام العراقي ضد الشعب الكوردي وفاجعة (حلبجة).

وإذ يستحيل طبعا فصل الكاتب عن وجدانياته ومشاعره واحساساته تجاه الاشياء والاحداث والاشخاص فهو في كل الاحوال ملتزم سياسي يجد في حقيقته الحزبية اليقين المطلق، لكن الدهشة والغرابة تكمنان في أن الكاتب وفي كل كتاباته لايرى الا نفسه وحزبه في المرآة، وينأى بنفسه عن الموضوعية حتى حين يكون السرد التاريخي الامين امرا واجبا بحكم الامانة الادبية.

وفي لقاء لكاتب هذه السطور مع السيد احمد باني خيلاني العضو القيادي في الحزب الشيوعي لكوردستان العراق قبل فترة في مدينة (بون) بألمانيا تجاذبنا أطراف الحديث حول الكتاب السابق لنوشيروان مصطفى الصادر ايضاً بالكوردية بعنوان "من ضفاف الدانوب الى وادي ناوزەنگ" حيث وصفه السيد خيلاني بحق بكونه "رسالة حرب" لكثرة مافيه من شتائم وتشهير ونعوت غير لائقة وتعابير سوقية بحق الخصوم السياسيين ولاسيّما عائلة البارزاني الخالد والحزب الديمقراطي الكوردستاني في وقت تقتضي الكتابة التاريخية والتي تأتي عادة بعد انتهاء فورة العواطف، حداً معقولاً من تهذيب الأسلوب والرؤية الموضوعية والتسامي على نرجسية الذات.

واثناء قراءتي لـ"الدوامة" تمنيت لو أن السيد نوشيروان مصطفى ردع ذاته عن مثل هذا المنزلق لاسيّما وانه يكتب عن حقبة، مضى عليها نحو ١٥ عاما كافية لإحداث شرخ في النظرة الاحادية الحزبية، ولتليين الكلمة الناقدة وتبريد درجة الغليان، لكي يشعر القارئ الكوردي انه فعلاً أمام حزبي مارس الحدث وها هو يكتبه بقلم كاتب ليودعه امانة للآخرين.

لكن ظني اخطأ فمع المضي في القراءة المتأنية للكتاب وخاصة الفقرات الاشكالية الطابع تراكم لدي سيل من المهاترات العمدية التي اجترحها الكاتب عن سابق اصرار لجرح الآخرين ومحاولة تغييبهم أو الانتقاص من دورهم على مسرح الاحداث وقطع صلة الثورة الكوردية بماضيها بناء على "عقدة التاريخ" المسكونة في الكاتب فيما يخص الفترات التي تستوجب استحضار وذكر البارزاني الراحل وثوراته ونضاله الذي يشكل عنوان نصف قرن من التاريخ الكوردي الحديث. ورغم ذلك لايجد صاحب "الدوامة"

حرجا في قطع الجذور واصطناع ادوار وهمية وانكار الآخرين، كما النعامة التي تدفن رأسها في التراب وتنفي وجود الشمس.

يضم الكتاب بين دفتيه نتوءات بارزة تجعله مكتوبا للنخبة الحزبية الضيقة التي يحاول المؤلف تجييشها ضد الآخرين، أكثر من كونه عنوانا مرجعيا للمتتبع والمهتم بالشجون والشؤون الكوردية، وهذا غيض من فيض تلك المعالم السلبية:

١- يسوق المؤلف مسوغات سياسية للمفاوضات التي اجراها حزبه فرديا مع النظام العراقي في خطوة فجة شقت في حينه الصف الوطني الكوردي والجسم السياسي العراقي المعارض، ولا يتواني المؤلف عن تجريم كل الأحزاب والشخصيات الكوردية والعربية التي انحت باللائمة على هذا العمل الاعتباطي عام ١٩٨٤ الذي طعن الجبهة الوطنية القومية الديمقراطية (جوقد) وادى الى أن يعلن الإتحاد الوطني الكوردستاني القتال ضد كل أطراف الجبهة الوطنية الديمقراطية (جود) ويرتكب بحق اعضائها مذبحة (پشت آشان) الدموية التي جهّز لها ونفذها صاحب "الدوامة"، اما الاصوات الكوردية التي تعالت حينذاك في أوروبا ضد التفاوض الفردي الذي انتهى الى لاشيء فإن السيد نوشيروان مصطفى ينعتهم "بادعياء الثقافة والوطنية" ولا ينسى أن يكيل الشتائم لمجموعة "راية الثورة" التي انشقت عن الإتحاد الوطني في تلك الفترة واصدرت كتيبا بعنوان "بدلا من الصمت" لكنه يعترف أن شريحة من دوائر حزبه تتهمه بالفردية والحدة ورفض الرأي الآخر والافتقار لدبلوماسية الحوار مع منتقديه.

٢- يفتقر الكاتب في غالب الأحيان الى تهذيب العبارة ففي الصفحة (٦٦) ترد عبارة (جحوش القيادة المؤقتة) ويقصد القيادة المؤقتة للحزب الديمقراطي الكوردستاني ويلصق تهمة "الخيانة التاريخية" بهذه القيادة التي تحدت نكسة عام ١٩٧٥ واشعلت في مدة قياسية، ضمن ظروف في مرارة الحنظل ثورة ٢٦ ايار (مايو) عام ١٩٧٦، في وقت كان الكثيرون ومنهم مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده خارج كوردستان في النمسا التي هرب اليها بعد أن فجر قنبلة فى احدى مدارس السليمانية ضد السلام في كوردستان بعد إتفاقية ١١ اذار (مارس) ١٩٧٠.

٣- لايكاد المرء يختتم قراءة الكتاب حتى يشعر وبتلقائية أن الكتاب مشحون بنهج تكتلي، مناطقي ونرجسي مايعكس ثقافة متقوقعة على الذات منطوية على اسلاكها غير السالكة للعطاء الإنساني الأخضر، فهي ثقافة لاتتحدي حدود البلدة التي ينتمي اليها المؤلف واللهجة التي ينطق بها، مايجعلها قصيرة البصر وضعيفة

البصيرة، وهذا النهج اذ يبرز في "الدوامة" فانه يتجلى صارخاً وفاقعاً في كتابه السابق "من ضفاف الدانوب الى وادي ناوزهنگ".

ختاماً نتمنى على نوشيروان مصطفى وبما انه منخرط ميدانيا في العمل السياسي لحزبه، أن يتخطى في كتاباته القادمة خطاب الحرب وان يرفع ولو صخرة واحدة ليضعها على صرح السلام لا ليرميها على رؤوس الآخرين، وان يمضي في الكتابة، ولكن بسن القلم لا بزناد البندقية، وان يهاجر بداوة التفكير الى محراب الكتابة الحضارية المنعشة.

***

مشاهدات من كوردستان...

لابد من الابتعاد عن لعبة نصب الفخاخ

الزمان ١٩٩٩/٧/٢

الذي يزور كوردستان العراق في هذه الأيام، سواء كان باحثا أكاديميا، ام عاملا في مهنة البحث عن المتاعب، ام مندوبا لإحدى منظمات الاغاثة الإنسانية، ام سياسيا، ام سائحا مغامرا ينوي التسلل عبر مسامات "كوردستان المتوحشة" على حد تعبير الكاتب الألماني (كارل ماي)، كل هؤلاء تستوقفهم ومضة الامل المرتسمة على عيون غالبية سكان الإقليم، ولاسيّما قوافل المشردين منهم والمسحوقين الذين تبقى جنتهم الموعودة مأوى متواضع وكسرة خبز ووعداً بالسلام الشامل المستقر، لأن الهدنة المتوترة المتقطعة تنحدر على الاغلب في الحالة الكوردية الى هاوية الإقتتال السحيقة التي لاتقبر أرواح الآمنين فحسب، بل ومعها تجليات الانتعاش الإقتصادي وبراعم الثقافة والابداع، وترمي حشودا أخرى من الاطفال النابضين بالحيوية المتدفقة الى قارعة الطرقات، وتفتح الجرح الكوردي غائراً لسموم دول الجوار الإقليمي التي تجيد لعبة نصب الفخاخ.

ان الخوف من المستقبل أمر مشروع لدى الملايين المتناثرة في ذلك المثلث الحدودي المحاصر بالجبال الشاهقة وباسلاك دول الطوق، وايضا- وهذا هو الانكى- بالمعادلة الكوردية المشهودة وهي السلام المؤقت الهش المتوج بزوبعة قتال عاصف ومستحكم.

هذا الأمل الممزوج بالقلق هي الصورة العيانية العارية من الرتوش التي تتراءى للزائر لهذه المنطقة البائسة من العالم ومنهم كاتب هذه السطور حيث تهيأ لي التواجد هناك منذ بداية العام الحالي ولغاية أواخر شهر آذار (مارس) الماضي، واللقاء بالكثير من السياسيين والكتاب وقنوات الإعلام المرئي والمقروء والمسموع، والاحتكاك بحقائق

ودقائق الوضع بلغة الارقام والوقائع الحية.

يمكن القول أن المحصلة الاجمالية تعكس حاليا بعض الاطمئنان لجهة تواصل إجتماعات المصالحة الكوردية رغم تعثرها أحيانا أو دورانها في دوامة، ومع هذا التواصل توظف الحكومة الإقليمية الثالثة الوقت وتستثمر امكاناتها لتجذير الشعور بالإستقرار والتنمية، واعتماد برنامج تنموي سياسي، إقتصادي إجتماعي وثقافي يتوخى درء الشوائب التي ضاعفها الإقتتال الداخلي.

إن مايؤهل الحكومة الثالثة للنهوض بمهامها دونما عوائق تذكر، هو انها برأي نخبة السياسيين والمثقفين منبثقة من الشرعية البرلمانية، فقد منح البرلمان الكوردي الحكومة الثقة من خلال برلمانيي الديمقراطي الكوردستاني ولفيف من الكتلة البرلمانية للإتحاد الوطني الكوردستاني الذين آثروا البقاء في البرلمان، وكذلك نواب الكتلة الآشورية، ومعلوم أن قرارات البرلمان تصدر بأغلبية بسيطة (النصف+١)، والى ذلك فالتشكيلة الحكومية الحالية تجد نفسها كمرآة للتعددية السياسية والإثنية والدينية لموزائيك مجتمع الإقليم، ففيها القومي والشيوعي والإسلامي والمستقل، وفيها الكوردي والآشوري والتركماني، وفيها المسلم والمسيحي واليزيدي.

ان الجميع في الإقليم متفق أن المطلوب هو التعجيل وحرق الزمن لتسريع وتيرة التنمية والاعمار، لذا يتوخى طاقم الحكومة الإقليمية القيام بجولات متواصلة في مختلف مدن وقصبات الإقليم لعقد الندوات الميدانية، وتفقد احتياجات السكان، وطمأنة منظمات الاغاثة للمواظبة على إعادة الاعمار، وتنظيم آلية صرف رواتب الموظفين شهريا وبانتظام لتشمل كل العاملين بغض النظر عن مناطق النفوذ، وجاءت خطوة الحكومة بصرف (٥٠) مليون دينار لتعويض المواطنين الذين اختفت ودائعهم في مصرف الإقليم بسبب الفلتان الأمني ابان الإقتتال لتضيف المزيد من المصداقية لعمل الحكومة الثالثة، وجاء انعقاد اول مؤتمر حول القرار(٩٨٦) وتحسين آليات تنفيذه في كوردستان العراق، في العاصمة الإقليمية أربيل يوم ١٩٩٩/٥/٢٩ مؤشرا على الأهمية التي تعيرها الكابينة الثالثة لمواصلة تطوير الجانب الإقتصادي الذي يلعب دورا أساسيا في اقرار الأمن السياسي، وتبدو في الإقليم بوادر انتعاش ثقافي أكاديمي يجد تعبيره في جامعات صلاح الدين والسليمانية ودهوك والعشرات من الجمعيات الثقافية والمهنية والنقابية والتي كان آخرها تأسيس نقابة الصحفيين في كوردستان، وصدور العشرات من الصحف والمجلات والدوريات والاصدارات المتخصصة الناطقة باسم التلاوين السياسية والإثنية والفكرية في الإقليم.

ولعل أهم عامل لدفع القرار الإداري للحكومة الثالثة الى الأمام ومرونة صدوره وتنفيذه هو انفكاكه من قيود المناصفة التي جاءت اثر إتفاق سياسي بعد إنتخابات عام ١٩٩٢، لذلك فإذ يعلق الجميع الآمال الكبيرة على إنجاز إتفاقية واشنطن للسلام بحذافيرها فانهم يتوجسون خيفة من عودة المناصفة البغيضة التي عطلت القرار السياسي والإداري وافرزت ارباكا كبيرا في عمل مختلف المرافق الإدارية والانتاجية.

كما لايختلف اثنان في الإقليم على أن التواجد المسلح لحزب العمال الكوردستاني في الإقليم قد اصبح عامل هدم وتخريب وتنكيل عبثي بحياة وممتلكات المواطنين الابرياء، إن ما يمارسه هذا الحزب لايحمل اية رسالة سياسية ذات مغزى لكونه إرهابا ايا كان التعريف الذي يضفى على العمل الإرهابي وقد اثر ذلك كثيرا على الرصيد المعنوي والسياسي لحزب العمال واثار الكثير من الأسئلة الكبيرة حول شعاراته وفيما اذا كان فعلا سيد قراره، لذا فلا بد أن يكون مبدأ الحفاظ على التجربة والبناء السلمي ومسيرة التنمية ثابتا وطنيا لايجوز لاي طرف سياسي التنصل منه، لأن تقويض اوتاد التجربة الحالية في الملاذ الآمن يعني سقوط البيت على ساكنيه جميعا وليس على حزب بذاته، فخبز وأمان وسلام وحياة المواطنين امر غير قابل للمساومة، ومن اولى أولويات الإدارة الكوردية رعاية وتنمية هذه القيم الحياتية وهذا ما تفعله الآن، ونرى أن الورقة الرابحة الوحيدة بيد كلا الطرفين الكورديين المتفاوضين هي التسابق لاضافة وتد آخر الى جملة الاوتاد الأخرى التي تجذر تجربة الإدارة الذاتية على ارض الواقع وتحميها من كل العواصف ايا كان مصدر هبوبها.

إن كل تجليات النمو السلمي مرهونة بالخط البياني للتطور السياسي والامل بإنجاز إتفاق واشنطن واعتماد كل الخيارات الممكنة لذلك، بإستثناء خيار العودة للاحتكام للبندقية لانه خيار اللاخيار الذي لايحل المعادلة الكوردية، بل يزيد طينتها بلة ويضاعف مجاهيلها.

ان القتال يندلع بقرار فردي، اما السلام والمصالحة فهو فعل مشاركة حضاري الطابع،فليكن ذلك خيار الجسم السياسي الكوردي ولتشتعل شمعة الوفاق الوطني بعد طول جفاء.

***

مركز للبحوث الأكاديمية الكوردية في الولايات المتحدة نصوص لها سحر التاريخ وطعم الحقيقة

الزمان ١٩٩٩/٧/٧

لو لم ينجز وليم إيگلتن كتابه الشهير عن جمهورية مهاباد الكوردية المنبثقة عام ١٩٤٦ والتي انهارت بعد عام لافتقدنا الى الآن أهم مرجع غني بالمعلومات حول هذه الجمهورية -الحلم وما زلنا الى الآن نشعر بفقر معلوماتي حول الكثير من الامارات الكوردية، والمحطات التاريخية الإنعطافية، لأن الاقلام الكوردية كانت متأخرة في اداء هذا الاستحقاق الحضاري الهام، مضافا اليه تلف وضياع المادة الوثائقية بفعل عوادي الزمن وبحكم معاداة الانظمة المقتسمة لكوردستان لكل مايمت الى تاريخ الشعب الكوردي وجوانب حياته بصلة.

واذا كان التدقيق الموثق للكثير من الاحداث الكوردية عصيا على الإنجاز أحيانا كثيرة، فان الكتابة المعمقة والمستوفية لشروط اكتمالها علميا حول مسيرة البارزاني الراحل ونشاته وخلفية مواقفه تبقى ذات صلة باكبر مساحة زمنية ضمن تاريخ الحركة التحررية الكوردية لغاية رحيله يوم ١٩٧٩/٣/١ سيما وانه رفض في أواخر أيامه كتابة مذكراته ما يعني ضياع كم هائل وثري من المخزون المعلوماتي لرائد النضال الكوردي. وكانت التفاتة طيبة من رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني مسعود البارزاني انه سجل جزء من هذا السفر في سلسلة كتب بعنوان "البارزاني والحركة التحررية الكوردية" سعت الى توخي تقديم اكبر كمية من المادة الوثائقية لكل المعنيين بالشؤون الكوردية. ولكن تبقى الساحة الثقافية الكوردية بحاجة الى الكثير من البحث لكشف وتحليل طريقة تعامل البارزاني الراحل مع الاحداث والظواهر وعلة لجوئه الى هذا الخيار أو ذلك في قراراته، وبخاصة مقابلاته مع الصحافة والإعلام واحاديثه التي ادلى بها بين الحين والآخر لمهتمين بالقضية الكوردية.

كان صدور كتاب "مجموعة من مقابلات وخطابات البارزاني الخالد" هذا العام من قبل السيد وريا جاف الذي شغل وظيفة مذيع ومترجم في الفترة ١٩٩٢ - ١٩٩٦ في القسم الكوردي باذاعة صوت أمريكا اضافة غنية بالفائدة والمغزى للمتتبع والمهتم بالثورة الكوردية وسياقات ادارتها سياسيا.

يقع الكتاب في (٢٣٠) صفحة وصدر باللغتين الكوردية والعربية ضمن مجلد واحد. ويضم ست مقابلات مع الـ(نيويورك تايمز) والصحفي رينيه موريس صاحب كتاب

(كوردستان أو الموت) ومجلة (كويك) الألمانية، ومجلة (ناشنال جوغرافيك) الأمريكية وصحيفة (اطلاعات) الإيرانية، والـ(واشنطن پوست)، اضافة الى ثلاث مذكرات للبارزاني وجهت اثنتان منها الى الأمم المتحدة في ١٩٦٤ و١٩٦٩ واخرى الى الحكومة العراقية في عهد عبدالسلام عارف كما يضم الكتاب نص الكلمة التي القاها البارزاني في مؤتمر الكادر السياسي والعسكري للثورة الكوردية يوم١٩٦٧/٤/١٥.

ويستخلص معد الكتاب خصالا أساسية في شخصية البارزاني من خلال احاديثه الى الإعلام العالمي. توليفة القيم والمثل التي يؤمن بها وتحليه بالشجاعة في ميادين القتال.

اول مقابلة يسجلها الكتاب هي تلك التي اجراها عام ١٩٦٢ الصحفي دانا ادمز شميدت الذي توجه الى البارزاني اثناء اللقاء بعبارة (سيدي الجنرال) لكنه رده بالقول "انني لا اهتم قلامة ظفر بالالقاب ثم يعرج البارزاني الى مبدأ التآخي العربي- الكوردي فيقول "نحن لانحارب العرب، فالعرب اخوتنا".

وفي عام ١٩٦٦ تسنى للفرنسي رينيه موريس زيارة كوردستان والتي سماها فيها بعد "يبدو أن كوردستان غير مسجلة على ملاك هذا العالم" في اشارة الى بؤس المنطقة وتناسي العالم لثورتها.

يقول موريس كان البارزاني مسرفا غير مقتصد في كيل الثناء للمسيحيين قائلا: "انهم اخواننا وهم مواطنو كوردستان ولا شائبة في مواطنتهم انهم يحاربون كالاسود ولا يتقاعسون عن تقديم الضحايا". اما مجلة الـ(كويك) الألمانية فقد عنونت مقالها عنه عام ١٩٧٤ بـ(الثوري الكبير لهذه الأيام) ونشرت مقابلة اجراها معه الصحفي گونتر ديشنر.

يقول مراسل الـ(ناشنال جوغرافيك) والذي التقى البارزاني عام ١٩٧٤: "خفت أن تشن الحكومة العراقية هجوما على الكورد بالغاز فقدمت هدية الى البارزاني هي عبارة عن قناع الوقاية". لكنه قال "اذا حان الوقت فلن استعمله لانني اموت مع شعبي".

وفي ١٩٧٨/٤/١٨ لاحظ مراسل (واشنطن ستار) البارزاني مثقلا بالحزن، لاسيما وان وطاة المرض كانت تشتد عليه وعندما سئل عن اكبر خطا في مجرى حياته لم يتردد في القول "رأيي حول الحكومة الأمريكية التي خانتنا" في اشارة الى إتفاقية ١٩٧٥/٣/٦ بين العراق وإيران.

عام ١٩٦٣ كادت القضية تلقي بحضورها داخل اروقة الأمم المتحدة من خلال دولة منغوليا الشعبية، لكن إعتبارات المصلحة السياسية اثنتها عن ذلك. وفي ١٩٦٤ وجه البارزاني نداء الى المنظمة الدولية مطالبا بضمان دولي لحل المسألة الكوردية وفي مذكرة

وجهها اواسط تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ نجده يرفض إعتبار الحرب ضد الشعب الكوردي شأنا داخليا، ويحث الأمم المتحدة لإرسال لجنة تقضي الحقائق ووسيط دولي الى كوردستان العراق.

يذكر أن مركزا للدراسات الأكاديمية افتتح مؤخرا في واشنطن باسم "مركز البارزاني للابحاث" تابع للجامعة الأمريكية وسيكرس للدراسات الموضوعية ضمن محاور العلاقات الدولية والسلام العالمي وفض النزعات الدولية بالطرق السلمية والبحوث المتعلقة بتاريخ وآفاق القضية الكوردية وسيقدم المركز منحاً دراسية للطلاب في المجالات الآنفة الذكر.

فمن المهم أن تحتشد الاقلام الكوردية والمناصرة لعدالة الشعب الكوردي الى جانب الدراسة المعمقة المتأنية التي لاتكتفي بابراز الاعجاب، بل وتقدم الدليل والحجة والمنطق الرصين لذلك الانبهار برمز جليل مازال ضريحه في مسقط رأسه (بارزان) وبعد (٢٠) عاماً على رحيله يستقبل سنويا عشرات الآلاف من شتى أنحاء كوردستان بمختلف مشاربهم الفكرية والدينية والإثنية.

***

قراءة في كتاب "القضية الكوردية في العراق : التاريخ والآفاق : الوطنية العراقية الخاسر الوحيد بين الانحياز للسلطة ونزعات الانفصال

جريدة الزمان العدد ٣٦٩ ١٩٩٩/٧/٨

تناغما مع سياقات ثقافة السلطة يلجأ السيد عزيز الحاج الكاتب السياسي المعروف والدبلوماسي السابق في اغلب معالجاته للقضية الوطنية العراقية والقضية الكوردية الى محاولة خلق اطار وطني ظاهري.

وكتابه "القضية الكوردية في العراق- التاريخ والآفاق" لايتضمن وجهة نظر انتقادية لسياسة النظام الحاكم في العراق، فيما يخص الشان الكوردي.

ولسنا هنا بصدد استعراض شامل للكتاب بقدر مايهمنا تسليط الضوء على النقاط التي نجد فيها اجحافا كبيرا بحق التاريخ وبقضية شعبنا الكوردي الذي ينتمي اليه الكاتب نفسه، وكان في خضم تطورات هذه القضية المحورية وعايش الكثير من منعطفاتها واحداثها.

في الصفحة (٥) من المقدمة يحدد الكاتب أسباب فشل التجارب لحل القضية الكوردية بثلاثة عوامل "على رأسها التدخل الخارجي وانحراف بعض القيادات الكوردية الى المنزلقات، ولاجدية الحكومات العراقية في تنفيذ ماإلتزمت بها من تعهدات".

إن هذه التراتبية للعوامل لدى الكاتب ليست محض صدفة، بل انه تعمد القاء الأخفاق في الحل على كاهل قيادة الحركة الكوردية بالدرجة الاولى مع محاولة لتشويه سمعتها ورصيدها الوطني بربطها بالتدخل الاجنبي ليعرج بعد ذلك على السلطة متهما اياها-وبخجل- باللاجدية في تنفيذ التعهدات، واضعا هذا العامل في المرتبة الثالثة، وهكذا فحرب التعريب والتهجير وسياسة الارض المحروقة وعمليات الانفال التي حصدت وحدها أرواح الآلاف من الضحايا وافناء مدينة (حلبجة) بالكيماوي المدمر وتدمير آلاف القرى وغير ذلك كلها تختزل لدى الكاتب بكلمة لينة واحدة هي "اللاجدية" أو "الأخطاء" في تطبيق قانون الحكم الذاتي الذي اصدره النظام عام ١٩٧٤ ليمارس تحت خيمته ابشع انواع حرب الإبادة ضد الكورد، ويستطرد الكاتب قائلاً "ان هذه الأخطاء وممارسات السلطة المركزية لايجب أن تعني القفز على المصالح والممارسات الانفصالية التي توجه ضربات الى كيان البلد وسيادته" والسؤال الكبير هو من الذي قفز على المصلحة الوطنية؟ وألم تؤمن قيادة الحركة الكوردية في كافة مراحلها بالحوار والتفاوض وسيلة للحل، طالما استطاعت اليه سبيلاً، وكانت السلطة المركزية دائما هي المبادرة الى غلق أبواب الحوار ووضع الشروط التعجيزية ومنع البحث في ملف الديمقراطية، فالكورد ارتكنوا الى الحوار حتى في اعقاب حرب الخليج الثانية حين كان النظام في الدرك السفلي من الهزال والضعف والعزلة الدولية والعربية، اما الحديث عن سيادة الوطن فهو حديث ذو شجون لاسيما حين يجري ربط السيادة بحياة النظام، ثم هل خفي على المؤلف أن الكورد ورغم تمتعهم بإستقلال الامر الواقع منذ عام ١٩٩١إلاّ انهم لم يفرطوا بشبر واحد من التراب الوطني وطالبوا بالفدرالية ضمن العراق الموحد، وهم وليس النظام الذين يرابطون لمنع تقاقم نفوذ دول الجوار في المنطقة، في حين أن الحكومة العراقية اقدمت منذ عام ١٩٧٥ على التفريط بسيادة الوطن وتربته حين وقعت إتفاقية ٦ اذار (مارس) ١٩٧٥ مع نظام الشاه ومن ثم عام ١٩٨٣ حين ابرمت إتفاقا امنيا مع تركيا يبيح لهذه الدولة القيام بعمليات ملاحقة واجتياح وتمشيط بعمق ٢٠ كلم داخل الوطن، ولكن قديما قيل اذا كان بيتك من زجاج فلا ترمي الناس بالحجارة، فالمؤلف وبيته أكثر هشاشة من الزجاج يسمى حملة التضامن العالمية مع الشعب الكوردي ابان موجة النزوح ارتماء لقيادات هذا الشعب في حضن الاجنبي.

وفي استعراضه لفترة الاربعينات يود المؤلف أن يقنع القاري والمتتبع للشأن الكوردي أن البارزاني الراحل "عبر مرارا عن اخلاصه ووفائه للعرش البريطاني". وذلك ضمن الخط الدعائي لتشويه سمعة الانتفاضات الكوردية، حين يمضي قائلا "كانت تربط الملا -يقصد البارزاني الراحل- بالسفير البريطاني (كورنواليس) علاقات التابع والمتبوع" وهنا ايضاً يسدل المؤلف الستار على حقيقة يعرفها هو قبل غيره. ولكنه التجا الى تحوير الاحداث بشكل منسجم مع منهجه في الكتاب وتصطدام مع واقع الحال ومع الحقيقة التاريخية الموثقة، فالمرء لايحتاج لكثير عناء لاكتشاف أن القوة الجوية البريطانية هي التي قمعت ثورتي بارزان في ١٩٤٣ و١٩٤٥ ليهرع بعدها البارزاني لمساندة جمهورية مهاباد في كوردستان إيران عام ١٩٤٦. والبارزاني هو الذي ردد أمام الصحفي (دانا آدمز شميدت) مؤلف كتاب "رحلة بين رجال شجعان" عام ١٩٦٤ أن الاستعمار البريطاني لايدع اظافرك تنمو الى الحد الذي تستطيع حك جلدك بها. اما مراسلات البارزاني مع السلطات البريطانية في الاربعينات فكل مايستخلص منها هو طموحه بان تاخذ بريطانيا العظمى المطاليب الكوردية بعين الإعتبار، ولا نعتقد بان في ذلك اي وجه من اوجه الغرابة ولا ندرك كيف استشف الكاتب منها معنى التبعية والانصياع.

وتأسيساً على ذلك نقول للكاتب بأنه لو كانت علاقة البارزاني وقبله الشيخ محمود الحفيد بالإنتداب البريطاني بالشكل الذي يتخيله هو لكانت الكثير من الامور على غير حالها الراهنة، ولكان مسار القضية الكوردية تطور في اتجاه آخر، خصوصا أن الكثير مما يعتبر اليوم ثوابت وطنية لم يكن بعد بهذا الشكل الجلي في حقبة الثلاثينات والاربعينات حين كان الانتداب البريطاني والفرنسي هما اللذان يرسمان الخرائط السياسية.

انها اذن الإرادة الوطنية التي رسخت مبدأ التعايش والتآخي الكوردي- العربي رغم بطش الاستعمار، ومن ثم لاحقا بطش الحكومات العراقية المتعاقبة الى يومنا هذا، ورغم ذلك لايجد المؤلف حرجا في تسمية المنطقة الآمنة في كوردستان العراق التي استحدثت على طريقة آخر الدواء الكي لوقف مسلسل الكوارث "محمية كوردية خاضعة للاهواء الغربية" والسؤال هو اين كان المؤلف حين نزح الملايين من الكورد هربا من رعب النظام بعد انحسار الانتفاضة في ربيع ١٩٩١، وهل كانت هنالك وسيلة أخرى لابعاد المنطقة عن إرهاب النظام.

اما اذا كان المؤلف يسمى هذا الواقع انفصالاً فهو فعلا انفصال عن طوق السلطة

القمعية، وليس ابدا انسلاخا عن ارض الوطن.

ان الإخلاص الكوردي للعراق بات امرا ثابتا تشهد عليه الحقائق والوقائع التاريخية، اما النظام الذي دمر الشعب والوطن فهو الساقط في اختبار الوطنية والإخلاص، وهذا ما كان يجدر تسجيله للتاريخ، وهو في كل الاحوال انتصار للوطنية العراقية اذا كانت بالفعل هي الدافع لاقوالنا وافعالنا.

***

لم يتقمص شخصية الحاكم ولم يلعب دور المساوم
يشار كمال خرج من بقعة رمادية وكتب عن (حقول الموت)

الزمان ١٩٩٩/٧/١٤

اجمعت الصحف الألمانية ذات يوم على كيل المديح للروائي الكوردي العالمي الشهير يشار كمال، حين حصل على جائزة السلام في ألمانيا، لكن گونتر گراس الكاتب الألماني المعروف بتضامنه مع قضايا الاجانب كان سباقا في الاشادة بابداع وعطاء هذا الكاتب الذي نسج عالمه الروائي من هموم وشجون وآمال وآلام الناس، ومن التوق اللامحدود للحرية، ليصبح برواياته واحدا من رموز الثقافة العالمية الخضراء الواقفة في الخط الأمامي لمنع قمع الإنسان لاخيه الإنسان.

وكونه يكتب بالتركية وليس بلغته الكوردية لم ينتقص من قيمة ادبه ولم يشكل حاجزا نفسيا بينه وبين هموم شعبه، الى حد انه ترشح أوائل الثمانينات لجائزة نوبل للآداب.

ولد يشار كمال الذي يعتبر في تركيا أكثر الكتاب المعاصرين شهرة عام ١٩٢٣ في قرية سيلينس بكوردستان تركيا، وكانت باكورة عطائه رواية حمد توركة عام ١٩٥٥، الذي كان الكتاب الأكثر مبيعا في بريطانيا عام١٩٦١، ثم تواصل نزيفه على الورق ليتحول الى الآن نهراً دائم الجريان يتسلل عبر الاسلاك الشائكة الى القراء في شتى بقاع العالم لأن أعماله ترجمت الى نحو ٣٠ لغة، ومنذ أوائل السبعينات تكثف إهتمام الكتاب الكورد العراقيين بنتاجات هذا الكاتب المبدع وتم ترجمة بعض رواياته الى الكوردية مثل"فرس احمد" و"اسطورة جبل آگري" وغيرها.

سُئل الكاتب ذات مرة هل تستطيع رواياته عكس هموم مواطن في قرية افريقية فأجاب: "كل من يطالع كتاباتي يجد نفسه منعكسا فيها، فإن كنت أنا اديباً جيداً

يستطيع الناس في أنحاء العالم التواصل معي والاندماج مع أعمالي ومع عالمي الداخلي، فنحن حين نقرأ لكتاب مثل سوفوكليس واووربيدس وشكسپير لانشعر أبدا اننا غرباء عن عالمهم". ولاشك في صحة تقدير الكاتب لأن الهموم الإنسانية واحدة اينما تواجد القهر والقمع، ولاتختلف سوى آليات تشريحها وطريقة اجتراح الحلول لها.

نظرا لكتابات يشار كمال النقدية ذات التطلع التغييري الرافض للاوضاع الإجتماعية والسياسية المتردية، تم إعتقاله عام ١٩٧١ اثر الإنقلاب العسكري، بعد ذلك تكررت حملات التضييق والملاحقة القضائية عليه، لذا نجده يهجر العمل السياسي المنظم ويتفرغ للكتابة الابداعية التي تعتبر بحد ذاتها عملا سياسيا- بالمعنى الواسع للكلمة- ومؤثرا وفاعلا ولكن بلغة تنفس التمرد الهاديء لدى القاريء وتنمّي لديه روح التآلف والتواصل والتفاهم.

إن يشار كمال لايخضع للهموم ولا يستسلم لها، بل يستثمرها ركيزة ومبررا للتغيير والتهيؤ لبناء مجتمع يكون متوازناً اثنياً وفكرياً وإجتماعياً وسياسياً وتكون وحدته في تنوع موزائيكه لافي اللون الواحد المفروض.

إن كل كتاباته لاتتقمص شخصية الحاكم ولا تلعب دور المساوم على هموم وشجون الناس، لكنه في العام ١٩٩٥ خرج تماماً من البقعة الرمادية ليرسم مشهدا إنعطافيا في حياته فلجأ الى كتابة مقال عارٍ تماما عن أية مجاملة لغوية كان له صدى واسعاً في الوسط الثقافي والإعلامي الألماني والكوردي والتركي، حيث نشر مقاله المعنون "حقول الموت" في ١٩٩٥/١/٩ في مجلة "دير شبيگل" اوسع المجلات الألمانية انتشاراً وأكثرها رصانة.

لقد اثار هذا المقال غبارا كثيفا ومازالت تداعياته مستمرة، لانه انحاز بشكل صريح الى هموم شعبه الكوردي واستعرض حالة حقوق الإنسان في تركيا وازمة الديمقراطية الناقصة فيها، ماأسفر عن اتهامه من قبل السلطة بالانفصالية والمسّ بالأمن القومي للدولة التركية، ولكن بالمقابل تضامن معه عام ١٩٩٥ ألف من خيرة الكتاب والإعلاميين والعاملين في الوسط الثقافي التركي.

وجاء في المقال العاصف الذي مازال طرياً في الذاكرة "لأول مرة في التاريخ يتخذ قرن له تسمية حتى قبل أن يهلّ، انه القرن الحادي والعشرون الذي سيكون قرن حقوق الإنسان، وفي منطقتنا تشير كل الشواهد اننا ندور في الدوامة ذاتها والحلقة عينها". ويمضي قائلاً: "لقد انقلبت التوقعات وحصل ما لم يكن في الحسبان، فقد نفض الشعب الكوردي الغبار عن نفسه وحمل لواء المقاومة ضد القمع والتنكيل، فحتى اسمه تعرض

للمسخ واصبح يعرف بـ(أتراك الجبال) ومع تنامي المقاومة الكوردية بدأت ماكنة القمع تبرز وجهها المرعب، وتشن حملة دعائية ضد الكورد كنعتهم بالانفصالية واتهامهم بتقسيم الوطن الأم".

وفي نبرة مصرة على المقاومة يعلن الكاتب: "إن تركيا أن كانت افلحت في تجفيف البحر، إلاّ انها عجزت عن صيد السمك مثل أمريكا التي جففت الارض والتربة الخصبة في ڤيتنام".

ثم يختتم مقاله بالقول: "إن تركيا لايمكن أن تدخل القرن الحادي والعشرين كدولة مكتظة باللاجئين المشردين، ويتحتم عليها إنهاء هذه الحرب اللإنسانية... وإننا على يقين أن الطريق الحقيقي نحو الديمقراطية يمر عبر الحل السلمي للقضية الكوردية".

إن يشار كمال كاتب مازال بحاجة الى تضامن رموز الثقافة العالمية معه كأحد مصدات رياح الغبن واللامساواة لا في بلده فحسب، بل حيث هبت في مختلف البؤر المتقيحة في عالمنا، ولكن ومن باب اولى فان حاجته لتضامن بني جلدته معه تبقى أكثر الحاحا فما زلنا نشعر أن الكتاب الكورد لم يوفوا هذا الكاتب حقه وما زال الكثير من جوانب حياته وأعماله في دائرة العتمة... رغم انه دخل رحاب العالمية برواياته العشرين.

***

الباحثة الألمانية سوزانا شميت في كتاب عن الكورد
البحث عن الحرية في ما وراء الحدود

الزمان ١٩٩٩/٧/١٧

على مر التاريخ ظل الإنسان الكوردي يئن تحت الحصار المادي والمعنوي والتهميش وتقزيم دوره في الحياة والتعتيم على قضاياه، وذلك كافزاز منطقي لتقسيم وطنه بين دول قد تتناقض في كل شيء، وقد تدخل في حرب ضروس فيما بينها، لكنها تبقى في المحصلة النهائية متفقة فيما يخص الملف الكوردي الساخن.

ولأن الحديد والنار ظلت هي اللغة اللامنطقية واللاحضارية في التعامل مع الخصوصية القومية للشعب الكوردي، لذا كان حتمياً أن تنتعش الهجرة الكوردية منذ مطلع الستينات الى حيث هامش الحرية والتعبير ارحب لاثبات الذات ومنع تلاشيها ضمن مناخات النفي القسري النفسي في الوطن الاصلي.

ولكن مامعنى أن يبقى هذا الإنسان يعاني عقدة الانتقاص في الحقوق والحريات

حتى في القارة الأوروبية ذات المعايير الثابتة والمتجذرة بخصوص حقوق الإنسان بناء على تاويل قانوني لايعتبر الكورد جالية مستقلة قائمة بذاتها، رغم أن عدد الكورد في أوروبا بلغ المليون، ومعظمهم يعتبرها وطنه البديل، بحكم أن هجرتهم المعاكسة غير ممكنة، اذا إستثنينا الوضع السيادي النسبي الذي توفر لكورد العراق منذ عام ١٩٩١، وفي كل الاحوال فإن كورد العراق هم اقلية ضمن الجالية الكوردية.

هذا هو المحور الكبير الذي يدور حوله كتاب "ان تكون كورديا أو لاتكون" الصادر هذا العام في (١٦٤) صفحة عن الباحثة الألمانية سوزانا شميت التي انتدبت للعمل في المركز الكوردي للمعلومات والوثائق في ألمانيا لوضع دراسة ميدانية عن وضع الجيل الكوردي الثاني، الذي نشا في ألمانيا، واشكالية الإنتماء القومي والتكيف مع الحياة الأوروبية التي تقف مع حياة الجيل الاول ضمن العائلة الكوردية التقليدية على طرفي نقيض.

وبحكم كون كاتب هذه السطور عضوا في الهيئة الإدارية العليا للمركز آنف الذكر، فقد تسنى لي اللقاء بالباحثة بإستمرار اثناء اعدادها هذا البحث القيم الذي يتمحور حول ظاهرة محددة بالذات ويتحاشى عموميات الشؤون والقضايا الكوردية.

اجرت المؤلفة مقابلات معمقة وتفصيلية مع (٢١) شابة وشابا كورديا بسقف عمري اقصاه ٢١ عاما ينحدرون من اصول إجتماعية ودينية مختلفة ومن كافة أجزاء كوردستان، تخلصت منها الى نتائج جيدة وضعتها في متناول المرافق الإجتماعية والمعنية بالشؤون الثقافية للاجانب في ألمانيا.

في الكتاب تأكيد على أن افتقار الجالية الكوردية للإعتراف القانوني يعني حرمانها من حزمة حقوق وامتيازات كفتح مدراس للغة الكوردية واستحداث ساعات بث ثابتة بالكوردية في الإعلام المرئي والمسموع والتمويل وتسهيلات العمل المناسبة للعمل المؤسساتي الثقافي- اللغوي- الأكاديمي الكوردي، فرغم نجاحات متميزة في هذا المضمار، الا أن المطلوب سياسة مخططة ومنهجية، اسوة بما يتم تقديمه للجاليات الأخرى، فانخراط الجالية الكوردية في النسيج المجتمعي الأوروبي يستوجب مضاعفة الامكانات.

في ثنايا البحث يشعر المرء بمعايشة وجدانية للمؤلفة مع معاناة الإنسان الكوردي حتى في أوروبا وتفتتح توطئتها للكتاب بمقتطف من مقابلة مع شاب كوردي يصرح "أحيانا كثيرة اشعر باليأس في التعريف بنفسي وبهويتي ككوردي بين الناس، ليس لي وطن على الخارطة السياسية للعالم وعليّ أن افيض في الشرح للإنسان الألماني حتى يفهمني".

يجمع الشباب الذين التقتهم المؤلفة أن التوجه العنفي وتصدير الحرب الكوردية الى شوارع أوروبا قد زاد الطين بلة، وفاقم الشعور العنصري غير المبرر طبعا تجاه قضية هي في اصولها عادلة، ولكن بعض القيمين عليها يسيئون استثمارها بشكل حضاري، ولعل الجميع يتذكر صورة الشرطي الألماني النازف دما قبل اعوام ابان تظاهرة كوردية، فالصورة تصدرت كل الصحف الألمانية في حينه، ماإستدعى اصدار وزارة الداخلية الألمانية تعليمات مشددة بصدد النشاط الكوردي.

استلت الباحثة عينتها من مدينة بون التي يقطنها(٣٤) ألف كوردي من مجموع (٦٠٠) ألف هو العدد الإجمالي للكورد القاطنين في ألمانيا، ولم تكتف بالأسئلة ذات المغزى السياسي، بل وتطرقت الى العلاقة المتزمتة والمتوترة التي يعاني منها الشباب داخل العائلة على خلفية صراع الاجيال وإختلاف الزمان والمكان ونشوء الجيل الثاني في بيئة لامت للبيئة الكوردية باية صلة.

تدعو المؤلفة الى وضع اطار قانوني وتعلميات جديدة للتعامل مع الجالية الكوردية الناهضة في ألمانيا والاقتراب أكثر من معاناة وهموم هذه الجالية، لكي لاتصبح الرتوش الرديئة التي تراكمت مؤخرا على الصورة الكوردية، امرا نمطيا. والمؤلفة اذ تروي العراقيل التي اعترضت طريق المؤسسة الكوردية السابق ذكرها للحصول على تمويل لإجراء مثل هذا البحث، وطبعه في كتاب، فهي تحث الدولة الألمانية وايضاً الاقطار الأوروبية الأخرى للتخفيف من القيود الاجرائية المفروضة على النشاط الكوردي، ولاسيّما جانبه الثقافي- العلمي، فاعتراض هذه الدولة أو تلك من الدول المقتسمة لكوردستان واحتجاجها على الفاعليات الكوردية، امر يبقى واردا، لكن ذلك لاينبغي أن يجهض معالم الحضور الكوردي في الخارج. فالكورد بإستثناء الإقليم الكوردي العراقي لامنفذ أمامهم لاستنشاق الهواء الطلق وانعاش ثقافتهم سوى النافذة الأوروبية المنفتحة على آفاق الحرية والديمقراطية.

***

مهمة الفرقاء تجذير إستقرار الأمر الواقع

شجب الانقسامات أولوية كوردية تهمش الأصابع الإقليمية لنحر السلام

الزمان ١٩٩٩/٨/٩

هل ستندلع الحرائق مجدداً في الخط الأخضر الفاصل بين الحزبين الكورديين العراقيين بعد هدنة طويلة نسبياً وفق العرف الكوردي، وهل سينهار صرح السلام مخلفاً اثره

انقاضا وانهيارات متتالية على الصعد السياسية والأمنية والإقتصادية والإجتماعية والنفسية، بحكم أن الأمن السياسي هو القيمة الحياتية العليا التي ترتبط بها القيم الأخرى؟

لا نريد ولوج باب التكهنات، بل نعتصم بحكمة "تفاءلوا بالخير تجدوه"، ولكن المشهد السياسي في كوردستان العراق يشير بشكل يقطع الشك باليقين، أن إتفاقية واشنطن للسلام المبرمة في ١٩٩٨/٩/١٧، والتي تستند بدورها الى عملية انقرة للسلام، تمر بازمة صعبة، لكنها ليست مستعصية.

ان محادثات الوفدين الكورديين التي التأمت في واشنطن في الفترة ١٦-١٩٩٩/٦/٢٥ برعاية الخارجية الأمريكية، والتي استهدفت استحداث آليات مناسبة لتطبيق الإتفاق وبلورة صيغ مشتركة لتفسير الفقرات العقدية، أو التي افتقدت في حينه الصياغة الواضحة غير الملتبسة معنى ومبنى، نقول أن هذه الجولة التفاوضية الغنية بالإنجاز اختتمت من دون صدور بيان ختامي مشترك، مما أسفر عن خيبة أمل لدى الراعي الأمريكي ولدى اصدقاء التجربة الرائدة للادارة الكوردية، ناهيك عن مضاعفة القلق والحزن المشروعين لدى عموم سكان الإقليم الذين استقبلوا مؤخرا بتفاؤل وامل اول مؤتمر حول القرار ٩٨٦ وتطبيقاته في كوردستان وتفعيل طرق تنفيذه وازاحة العقبات عن طريقه، لانه يمس صلب معيشة سكان هذه المنطقة البائسة، والتي يزداد بؤسها حين تنغرس في جسدها بنادق ابنائها، ولابد أن يكون المؤتمر وخلاصاته بحد ذاتها عاملا معجلا للسلام.

إن مفاوضات واشنطن التكميلية تمحورت حول جدول أعمال شامل وغني لم يستثن ايا من البنود الخلافية، وهي مواصلة تجنب الحملات الإعلامية ونشر ثقافة السلام، واستحداث مكاتب تمثيلية لكل طرف لدى الآخر تكون بمثابة اداة تطبيعية أخرى وكخطوط ساخنة تتدخل لمنع اشتعال اي فتيل امني، وإعادة المهجرين على الهوية على الطريقة اللبنانية بسبب اللون السياسي ويبلغ عددهم قرابة الـ(٧٥) الفا يعانون شظف العيش وخيبة امل تطحن نفوسهم، لأن التهجير السيئ الصيت والذكر يتم هذه المرة بأيد كوردية، وحل اشكالية العائدات، وتفعيل التطبيع واجواء بناء الثقة التي ظلت مهزوزة، والبت في آليات تشكيل البرلمان والحكومة الإقليمية المشتركة، وهذه نقطة جوهرية مهمة، وانهاء وجود الـ(پ.ك.ك) الذي يتحول يوما اثر يوم الى عبء ثقيل على سكان الإقليم، والى عامل حرب وتخريب في منطقة تتوق الى السلام والتنمية والبناء.

لقد جرى بإسهاب بحث كل هذه البنود ووضع حلول تفصيلية لتنفيذها، ولاسيّما

عقدة المناصفة التي ألغيت واتفق الطرفان على أن يتألف البرلمان الانتقالي بنسبة ٥١ عضوا للديمقراطي الكوردستاني مقابل ٤٩ عضوا للإتحاد الوطني الكوردستاني، اضافة الى ٥ أعضاء من الأخوة المسيحيين، ودرءً لاية مخاوف ارتأى الطرفان أن تكون قرارات المجلس توافقية فيما يخص القضايا الجوهرية، كتشكيل الحكومة الإقليمية الانتقالية واختيار رئيس البرلمان ورئيس الحكومة الإقليمية والإجراءات الأمنية والسياسية ذات الطابع التطبيعي في المدن والقصبات، وكل ما له علاقة بالإنتخابات القادمة، وهذا يعني أن فارق الواحد في المائة لصالح الديمقراطي الكوردستاني لايمكن أن يخلق حالة استئثار أو انفراد باتخاذ القرارات، بل يفتح الباب لمزيد من الثقة المتبادلة، ويشجع على المضي حثيثا في تنفيذ إتفاقية واشنطن ومواصلة إجتماعات لجنة التنسيق العليا التي قاربت الاربعين وانجزت من خلال لجانها الفرعية المتخصصة قسطا لايستهان به في سياق التطبيع الأمني- الإعلامي- السياسي- العسكري- والإقتصادي وما يخص المرافق الحياتية والجو النفسي للمواطن.

إن الارث التفاوضي الذي تراكم لدى النخب السياسية في الإقليم منذ عملية انقرة للسلام ولغاية الآن، والذي خلق مناخا ملائما للإستقرار السياسي وللتنمية والاعمار ولاسترجاع جزء من صدقية التجربة الكوردية، وانعاش تطلعات سكان الإقليم الكوردي، لجدير بان يتحول من ظاهرة مؤقتة الى ثوابت للحالة الكوردية، رغم كل الاحراش والعقبات المحلية والإقليمية ورغم علل التقيح التي ستستمر دول الطوق على تصديرها للجسم الكوردي الموبوء اصلا، ونرى أن تباشير هذه التقيحات تلوح هذه الأيام مجددا، فهل ستثبت السياسة الكوردية ولو مرة واحدة انها أكثر حنكة من دهاليز وحبائل الخنادق الإقليمية، التي لايمكن أن تسمح بالحرية للإنسان الكوردي الذي قدر له كما اورد الكاتب جوناثان راندل في كتابه الرائع "أمة في شقاق": أن يحمل الف حسرة، ويذرف الف دمعة، ويطلق الف ثورة، ويشعل الف أمل.

فليكن التطبيع بكل ما يعنيه من انفراجات على كافة المستويات هو العنوان المرجعي للفاعليات السياسية والثقافية والإعلامية الكوردية العراقية، وسيقود ذلك بالتأكيد الى تجذر السلام كأمر واقع، هذا اذا بقي الجميع سيد قراره المتناغم مع مزاج سكان الإقليم ومصلحتهم الحياتية العليا، فالكارثة بعينها هي أن يسمح اي كان بان تتطاول اصابع اقليمية موبوءة لنحر السلام واحلال الحرب، ومن ثم التنصل من الذنب وتعليقه على مشجب الانقسامات الكوردية المشهود لها بتاريخ دموي... ولكن ايضاً بهويتها التي تحمل الوان الطيف الإقليمي.

قصيدة حب ومقاومة على بوابات العالم

الزمان ١٩٩٩/٨/١٠

برحيل الشاعر الكبير عبدالوهاب البياتي بأباريقه المهشمة كما هذا الزمن الرديء وبالسيرة الذاتية التي استطاعت سرقة نار الشعر ومراكمة لهيبها في هشيم الحياة، تكون يد المنون قد اكملت دورتها وانتزعت ثالثة الاثافي وآخر وتد اسس لعالم شعري رحب تنفس من رئة السياب وانتعش برومانسية نازك الملائكة وانثويتها الجريئة الداخلة كما السكين في خاصرة المجتمع الرجالي، ومن ثم اصبح هذا الوليد الشعري الواعد شجرة باسقة وارفة الاغصان مديدة العمر بين دفاتر البياتي التي طويت آخرها يوم ١٩٩٩/٨/٣.

ان هذا الإنعطاف الأخضر في الشعر الذي شرع في الاربعينات بمهمة شرح العالم بآليات أكثر دقة وتفصيلية ورؤيته بمنظار اخر، لم يكن مجرد تعديل للبناء الهندسي للقصيدة من شكل العروض الى التفعيلة، بل كان إنجازا حقيقيا وأكثر الانحناءات دلالة في وظيفة الشعر كاسمى فنون الادب.

فمثالاً لاحصراً فإن القارئ لـ(منزل الأقنان) و(انشودة المطر) للسياب، و(أباريق مهشمة) يكتشف البون الشاسع بين عمومية القصيدة الكلاسيكية ولحظوية وانتقائية الموضوع في الشعر الحديث، ولن اسميه الحر لأن التسمية الأخيرة افرزت كثيرا من الالتباس، لاسيما على ايدي جيل الستينات حيث اصدر عدد من شعراء هذا العقد "البيان الشعري" الذي اريد به تجاوز مدرسة الملائكة والسياب والبياتي، الا انه سرعان ما خفت صوته وبهت لونه ليصبح تنظيرا أكثر منه كمّاً ابداعيا فاعلا، وبقيت قصيدة التفعيلة بمناخاتها الجديدة التي تمثلت التراث دون أن تكرره، وبسياقاتها الهيكلية وبصورها الشعرية ذات البعد الجمالي المفهوم والبعيد عن الغموض المتعمد والنتوءات الشاذة، وبايحائيتها التي تستثمر الابعاد الخفية للكلمة وطاقتها الجمالية التعبيرية، ولاتتوقف عند المعنى القاموسي المحدد، نقول لذلك كله بقيت هذه القصيدة عامرة بالحياة وشعبية تستسلم للقارئ المتذوق دونما تكلف أو تصنع، والدليل انه خلال العقود المنصرمة تهرأت اكوام من الشعر ذي الطابع النخبوي المهلهل البناء والمطلسم المحتوى ليبقى شعراء قلة احتفظوا بطراوتهم وبقدرتهم على اقحام الشعر كوسيلة كفاح مثيرة للاندهاش والانبهار، وكاداة لفهم العالم ولتشريح مكنونات الإنسان وتقديم الاجابات على استفساراته الوجودية.

وبرحيل البياتي وقبله بلند الحيدري تفرقت بنا الدروب فلا ندري على اية قمة نتكيء ومن اية كنوز شعرية نغرف، وهنا يحق لنا أن نزعم أن سعدي يوسف هو احد أكثر المهيئين لملء جزء من الفراغ الكبير في فضاء الشعر على أن يظل- برأينا- عند تخوم "نهايات الشمال الافريقي" و"الأخضر بن يوسف ومشاغله" وسواها ولايغرق نفسه في رمال "ما بعد الحداثة" التي لم تترسخ قدماها على ارض الواقع.

لم يكن البياتي مجرد شاعر فنان، بل كان ايضاً كما نخبة الريادة الادبية من معاصريه مقاوما يحمل سلة هموم شعبه ويطوف بها، اليس هو القائل:

ذهبي: ينابيع الحياة

وثروتي: قلق الوجود

لذا لم يكن خياره إلاّ المنفى في وطن لم يعد ابناؤه المبدعون يحوزون فيه على مساحة قبر ونحن على اعتاب الألفية الثالثة.

لقد اعتُقل البياتي عام ١٩٥٤ لتبدأ بعدها رحلته الاولى في الشتات وفي التمرس في توظيف البعد عن مسقط الرأس وعن رائحة الوطن، كمادة شعرية مكللة بالحزن، ولكن ايضاً بالجمال والتفاؤل وبوعد مرتقب تكتحل فيه العيون بلقاء الوطن لا بأغلال القمع.

خلال متابعتي للشهادات التي ادلى بها رموز الابداع بحق البياتي الشاعر والإنسان اجتاحتني الفرحة لهذا الاحتفاء بشاعر، ونطمئن الشاعر عدنان الصائغ أن حريقه لن يخمد وسيخلف المزيد من الحرائق لأجل ارض اصبح الداخلون اليها منفيون ربما أكثر من ابنائها المتوزعين في شتات العالم. وإذ تسبغ عليه الكاتبة (رشيدة الشارني) صفة الأب الروحي لها، والشاعرة (آسمال الزهاوي) تجد فيه الكوكب اللامع في الشعر العربي، والكاتب (زعيم الطائي) يعرّج على شخصيته الجريئة القائمة على قول كلمة الحق اينما كان وكيفما كان، فإنني واضافة الى كل هذه الفضائل التي يستحقها اجد فيه قامة شعرية وسياسية باسقة وهبت عطاءها للتآخي القومي في عراقنا الجميل فكانت له هو الآخر فضيلة رؤية العراق بكل تلاوينه بذات الروح المتسامحة، فكان احد المؤسسين والداعين لحالة الوئام بدل الخصام بين المبشرين بحضارية الحوار عوضا عن بدائية التنافر.

كان للثلاثي المبدع السياب والملائكة والبياتي تأثير واضح على الشعر الكوردي الحديث في العراق، الذي انجز هو الآخر طموحه التغييري المتفق مع نسق الحياة المعاصرة اواسط الاربعينات على يد الشاعر الكوردي المبدع (عبدالله گوران) الذي مازال دوره

الريادي أكثر تجذرا وتأثير وحضوراً من تلك الزوبعة التي طغت مؤقتاً على المشهد الثقافي الكوردي اواسط السبعينات بأسم مدرسة (روانگه- المرصد) والتي زعمت هي الأخرى تجاوز أو ضرورة تجاوز (گوران) الذي غير الاسس التركيبية للشعر الكوردي من العروض العربي الى البناء المقطعي الأكثر إنسجاما مع بنية اللغة الكوردية وكان گوران متاثرا ايضاً بالشعر الانگليزي. وكما "البيان الشعري" فان اتجاه "روانگه- المرصد" هو الآخر ذهب مع الريح دونما رجعة، ونجد الآن الشاعر(شيركو بێكەس) مازال محتفظا باناقة الكلمة وقدرتها التحريضية المكتنزة بالفجاءة والخيال الجموح وكذلك الشاعر(عبدالله پەشێو) لأنهما مع آخرين لم يدخلوا، إلاّ في ما ندر، دهاليز التعتيم المتعمد على المعنى.

في ديوان "بستان عائشة" يحترق الشاعر كما لم يحترق من قبل بالحب فيكتب من مدريد المشبعة باجواء الحنين الاندلسي الى زوجته يوم ١٩٨٨/١١/٢ مناشدا اياها:

(فحبيني من جديد... فبحبك يكبر الشاعر/ الطفل الذي هو انا)

وفي الديوان نزوع تمردي واضح على الواقع ومشاعر وفاء لمحبيه، فاضافة الى (هند) الزوجة الملهمة يبث الشاعر آيات وفائه لـ(خليل حاوي) و(خوخي لويس بورخيس) و(نجيب محفوظ) والشاعر العالمي (اوكتافيو پاث) حائز جائزة نوبل للآداب والروائي الكوردي العالمي (يشار كمال) والمخرج السينمائي الكوردي (يلماز گوناي) صاحب فيلم "القطيع" السياسي الذي عرض في كل أنحاء أوروبا وحاز على جائزة "السعفة الذهبية" التي اثارت في حينه نقمة الاوساط الرسمية التركية، لما في فيلمه من امتزاج بهموم الناس في "ليل الاناضول" فيمسك البياتي بالخيط الأساسي حين يقول لـ(يلماز) عام ١٩٨٤: (الفجر وشيك والغابات تتنفس في عمق والارض تعاني اوجاع مخاض)

ويبقى بستان عائشة على نهر الخابور وبغداد التي (تبقى شمسا تتوهج... ونبعا يتجدد) هما منبتا الحب في الديوان يعنون اليهما الشاعر حنينه.

أما في "قصائد على بوابات العالم السبع" فان غنائيته تنشرح على حب "جبل قاسيون" الذي يحمله الشاعر (غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الديجور) ويكتب عن دمشق الحاضنة التي عاد اليها والتي ستضم ضريحه المكتنز اخضرارا وندى، وفي الديوان إعلان رفض صارخ اللون والنبرة على كل سجون العالم وكل طغاته وعلى (القهر والاذلال في الازمة الحديثة... والموت في اقبية المدينة وغرف الفنادق اللعينة).

وفي قصيدة حافلة بالايحاءات يستوحي وقائع الماضي الى الحاضر الراهن لشدة تماثلهما فيكتب الشاعر عن اجواء كومونة باريس قائلاً: (رايت اعوان ملوك العالم

الصغار وأوجه الطغاة مذعورة تحاصر الثوار) ويمضي في تجسيد النموذج الثوري الذي سياتي ويغير تقاسيم العالم القبيح ليمنحه رتوشه الحقيقية القائمة على الخير والحق والجمال وهي القيم التي يتشكل منها الشعر.

ان البياتي الذي امتد به العمر أكثر من معاصريه من اعمدة الشعر الحديث لم يحتقن ولم يتآكل بفعل تقادم الزمن، بل ظل نديا مخضبا بالعطاء نازفا لاجل الوطن قادرا على دحر الشيخوخة الابداعية.

***

هل يخرج عبدالله أوجلان من نفق اللاوعي ؟

الزمان ١٩٩٩/٨/١٢

منذ أن تأسس حزب العمال الكوردستاني أواخر السبعينات اتقن زعيمه (أوجلان) ممارسة سياسة التناحر واختلاق موجبات الإقتتال الداخلي الكوردي وقطع الصلة ونسف الجسور مع الجميع، رغم كل المناشدات والدعوات والنصائح المخلصة التي اسديت اليه للتخلي عن هذا النهج الذي ادى في النهاية، كما توقعت كل التكهنات منذ البداية الى إلغائه، بدل إلغاء الآخرين.

ففي مجتمع كردي يربو تعداده على الثلاثين مليوناً لابد، كما في كل المجتمعات أن تتوزع تكويناته السياسية على خنادق آيديولوجية متمايزة الرؤى والأفكار والنهج السياسي ولا يجمعها الا قاسمها المشترك المتمحور حول الحقوق القومية الكوردية المشروعة، ولكن هذه الخنادق قد لاتكون بالضرورة متضادة ومتصارعة حيث يمكنها أن تكون متواصلة مندمجة في الشان العام ومحتفظة بخصوصيتها، هذا مايقتضيه العقل السليم، وتؤكد صحته بعض التجارب التحررية في العالم.

ولكن طوال السنوات المنصرمة بقي الجميع في واد وأوجلان وحزبه في وادٍ آخر يغردان خارج السرب، ومن يقرأ كتاب سبعة أيام مع آپو (لقب عبدالله أوجلان) سيعثر على الخيط المندس في التوليفة النفسية التربوية لهذا الرجل، والذي يجعله يرتكن الى التطرف والحدية في كل شئ اعتمادا على زعم ريادته وانفراده بصفات لم ولن تتوفر عند اي زعيم اخر، وبما انه الزعيم الذي ينبغي أن يبقى اوحدا ومطلقا، لذا استمر في شق الصف الوطني الكوردي منذ بدايته التأسيسية اثباتا لحضوره على طريقة المثل الكوردي الشهير ومفاده أن مغموراً اراد أن يشتهر فلجأ الى رمي القذارة في نبع القرية ليتحدث عنه الجميع. فمنذ البدء اعلن العمال الكوردستاني حربه على حزب حركة

التحرير الوطني الكوردستاني (كوك) ودخل في إقتتالات جانبية مع الحزب الاشتراكي الكوردستاني في تركيا بزعم أن الأخير يطالب باقل من إستقلال كوردستان وحارب كل تنظيم سياسي كوردي، ايا كانت هويته على الساحة الكوردية التركية.

ومنذ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٩٢يشن حربا دعائية وسياسية وإقتصادية وعسكرية في كوردستان العراق خسر فيها صفوة كوادره، ناهيك عن الخسارة المعنوية والمادية، وفي العام الماضي صرح أوجلان لمجلة (الوسط) بما يفيد أن تجربة الإدارة الإقليمية في الإقليم الكوردي العراقي بمثابة سكين في الخاصرة وانتدب نفسه طوعا أو كرها لمحاربة هذه التجربة غير المسبوقة في التاريخ الكوردي.

وفي أوروپا تلقى حزبه مقاطعة أكثر الاوساط السياسية المعنية بالقضية الكوردية، بعد أن لجأ الى تصدير الحرب الكوردية الى شوارعها وحول مرارا عيد نوروز القومي الكوردي في ٢١ اذار (مارس) الى مشاجرات دموية مع الكورد الآخرين الذين دأبوا على الإحتفال به في معظم عواصم ومدن القارة الأوروپية. ولم يحصد الحزب من كل ذلك غير قرار اتهامه بالإرهاب وفق القانون الألماني، ومن ثم بالإجرام لاحقاً، وكل ذلك لم يشكل رادعا للحزب ولزعيمه للتراجع في منتصف الطريق، رغم الإجراءات الترقيعية التي اتخذها في هذا المضمار بين الحين والآخر. وإذ يقبع أوجلان في السجن – وهو مصير لم يكن اي كوردي يتمناه له فانه يقدم التنازلات في غير موقعها وفي غير أوانها لينقذ نفسه من الإعدام بعد أن يكون قد ربط حبل المشنقة حول عنق القضية الكوردية في تركيا، وهي قضية حقة وعادلة تقتضي حلا عادلا.

ان أوجلان افرغ جعبته السرية مؤسسا حدثا غير مسبوق في التاريخ الكوردي، فالشيخ عبدالسلام البارزاني اعتلى المشنقة التي نصبها له العثمانيون بإباء وصمود رافضا التخلي قيد شعرة عن مبادئه، ومفجر الثورة الإستقلالية الكبرى عام ١٩٢٥ الشيخ سعيد پيران اعدم وهو يردد شعار الحرية لشعبه ووطنه، والقاضي محمد شنق في ساحة "المشاعل الاربعة" في مدينة مهاباد بكوردستان إيران دون أن يخضع ولو لحظة واحدة لإرادة قاتليه، اما الزعيم القومي الخالد مصطفى البارزاني فقد بقي عصيا على الخضوع حتى آخر يوم من حياته في ١٩٧٩/٣/١، بل واوصى بعدم تسليم جثمانه لاعدائه، فكان أن دفن في كوردستان إيران، ومن ثم لاحقا، نقل رفاته الى مسقط رأسه في قرية (بارزان) بكوردستان العراق.

فاين هذا من ذلك واين الثرى من الثريا. إن آخر صيحات (أوجلان) كانت دعوته قبل أيام لقواعد حزبه التخلي نهائيا عن خيار الكفاح المسلح، وهو خيار لاغبار عليه، ولكن وجه الغرابة انه يدعو مسلحيه للخروج من تركيا، وبما انه وبالتزامن مع هذه

الدعوة تزداد ويشكل يومي وتيرة العمليات التخريبية التي يمارسها حزبه ضد أمن وحياة وممتلكات السكان الآمنين في كوردستان العراق والقرى الحدودية ومرافق البناء السلمي، فهل تتضمن دعوته الملغومة دعوة ضمنية أخرى لمواصلة الحرب خارج الحدود وتصدير البنادق الاجنبية الهوى والإنتماء الى كوردستان العراق تطمينا لكل الأعداء الاستراتيجيين المتحفظين أو المعادين للتجربة الكوردية في كوردستان العراق، الذين يصرون على تقزيم الطموح الكوردي وتحويله الى هاجس أمني خطر ينبغي مكافحته واستئصاله. أو في احسن الاحوال تدجينه وتقليم أظافره.

نتمنى أن نكون مخطئين في هذا التقدير الذي تدل عليه الشواهد الحية، ولكن إن لم يكن الامر كذلك فلماذا لايلجأ أوجلان الى خيار ترك السلاح ولغة العنف بوجه الجميع. أيس الأقربون أولى بالمعروف كما تنص الآية الكريمة؟

ان المتابع لقناة كوردستان الفضائية يندهش أمام اصرار العمال الكوردستاني على طعن وضرب هامش الحرية المتوفر لكورد العراق، بعد انهيار من الدم والدموع والتضحيات الجسيمة، منذ تاسيس الدولية العراقية ولغاية العام١٩٩١، حين تهيأ الظرف الدولي وصدر القرار ٦٨٨ واستُحدثت المنطقة الآمنة الكوردية، وهذا القرار لم يشكل انتصاراً للإنسان الكوردي فحسب، بل يعتبر سابقة قانونية دولية يمكن تطبيقها في العديد من بؤر التوتر في عالمنا الراهن كما في حالة (كوسوڤو).

لقد بقى من حياة أوجلان موقف واحد قد يدخله ولو متاخرا الى ذاكرة الإنسان الكوردي، وهو أن يعلن وبالفم الملآن عن شجبه الحرب ضد حرية وتجربة كورد العراق، ويدعو انصاره للخروج من كوردستان العراق المشبعة بهمومها وتطلعاتها ومشاكلها، فيمتنع عن مضاعفة خرائبها ومراكمة حرائقها. حينذاك فقط سنصدق أن شيئا من العقلانية يرخي سدوله على سياسة حزب العمال الكوردستاني وان زعيمها بدأ رحلة الخروج من نفق اللاوعي... فهل يفعلها أوجلان؟

***

٥٣ عاما على تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني مشروع قومي على خارطة اقليمية متقلبة

الزمان ١٩٩٩/٨/١٦

في مثل هذه الأيام قبل(٥٣) عاما انعقد المؤتمر التأسيسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني، بعد أن عقدت اغلب التكوينات السابقة مؤتمراتها وحلت نفسها لتذوب

في تنظيم سياسي كردي مازال محتفظا بالمناعة وقوة الصمود والبقاء الى حد انه مازال يسمى الحزب الأم.

وفي نفس يوم التأسيس ولد زعيم الحزب الحالي مسعود البارزاني الذي قاد حملة تجديدية داخل الحزب بعد أن انتخب رئيسا له في المؤتمر التاسع ضمن اشد الظروف قساوة ووعورة فظل سباقا في الكفاح التحرري والبناء السلمى لاحقاً، وأحد أشد المؤمنين بالسلام في كوردستان، مما استدعى مجلة (بوكروم) الألمانية أن تصفه ذات يوم، بأنه محام ناجح لقضية عادلة.

ولعل سر ديمومة هذا الحزب ومراكمته لرصيده يكمن في انه لم يلد من الفراغ بقرار اعتباطي أو رغبوي لملء فراغ ما، بل تقمص منذ البدء كل التلاوين السياسية التي كانت سائدة قبله، والتي كانت تبحث عن بوتقة وطنية ديمقراطية مؤثرة تنصهر فيها، فهو اذن وريث كل مخزون النضال التحرري السابق، مضافا اليه القوة المعنوية السامية التي اضفاها مصطفى البارزاني الذي دمج الحزب بتراثه النضالي الذي كان قد بدأ في التاريخ الكوردي منذ عام ١٩٣٢.

وليد جديد

لذا جاء الوليد الجديد مستبطناً تراث سابقيه ومصداقية الرمز النضالي البارزاني الأب، وتاييد اوسع القطاعات الشعبية من العمال والفلاحين والشرائح الإجتماعية الأخرى ذات المصلحة في التحرر القومي والإجتماعي الذي تعمقت ابعاده بانضمام الانتلجنسيا الكوردية الى الحزب.

ولا ننسى القوة العسكرية التي كان نواتها رجال العشيرة البارزانية الذين تمرسوا في العمل الكفاحي المسلح منذ انتفاضات بارزان في ١٩٣٢ و١٩٤٣ و١٩٤٥ وتحولوا الى قوة ضاربة للحزب ومن ثم لثورة أيلول (سپتمبر) في ١٩٦١ التي انتزعت الإعتراف بالشعب الكوردي ووقعت إتفاقية١١/ آذار/ ١٩٧٠، ولم يكن انتكاسها ممكنا لولا المؤامرة الدولية التي اشترك فيها شاه إيران والولايات المتحدة الأمريكية على هيئة إتفاقية ٦ / آذار / ١٩٧٥ بين بغداد وطهران والتي ستصبح فيما بعد القنبلة الموقوتة التي فجرت شظاياها الحرب العراقية الإيرانية في أيلول (سپتمبر) ١٩٨٠.

إن اية دراسة موضوعية لايمكن الا أن تنصف هذا الحزب ومؤسسه البارزاني، لأنه الحضور الممتد على اطول رقعة زمنية في التاريخ الكوردي وما زال الوتد الاقوى والأكثر ترسخا في الارض الكوردية، وقد برهنت الشواهد أن المد والجزر في القضية الكوردية متزامنان مع الحالة التنظيمية لهذا الحزب.

فضائل نضالية

ورغم كل مايتمتع به الحزب من شعبية فانه، سواء في عهد البارزاني الاب، أو إبان رئاسة مسعود البارزاني إستمر في حمل فضائل نضالية نأت به عن الغرور أو الاستئثار أو التغاضي عن نبض الجماهير. ففي عام ١٩٦٣ فتح الحزب ذراعيه لإستقبال قوى التحرر والديمقراطية التي عانت الامرين بفعل القانون رقم (١٣) الذي اباح في حينه إبادة الشيوعيين وغيرهم من الرافضين للإنقلاب وكانت تلك بداية أرخت لمسيرة عنوانها ربط الكفاح الكوردي بملف الديمقراطية في العراق.

الى ذلك فان الحزب دأب على تفعيل حضوره في الجبهات الوطنية ذات الطابع العراقي أو الكوردي لأن مقاطعة الآخر يزيد توسيع فاصل الخلاف ويغلق الأبواب أمام فهم مشترك لعدالة القضية الكوردية.

اواسط السبعينات وصفت صحيفة (الازفستيا) السوفياتية الديمقراطي الكوردستاني بالحزب الذي تفولذ في النضال ومؤداه أن هذا الحزب اذ يتعثر لايقع، وإذ ينحسر لايختفي عن المشهد السياسي الكوردي، وإذ تصيبه النكبة، فانها تبقى حالة مؤقتة وانتقالية ينهض بعدها نافضاعن نفسه الغبار،مراجعا ذاته بعين انتقادية متواضعة لاتغض الطرف عن الواقع. ففي آذار ١٩٧٥ تصور القاصي والداني أن نسغ الحياة جّف في جسد الحزب، وحينها صرح الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر أن المسألة الكوردية انتهت الى الابد، ولكن بعد اقل من عام اعلن الحزب ثورة ٢٦ / ايار ١٩٧٦.

ولد هذا التكوين السياسي باسم الحزب الديمقراطي الكوردي، ولكنه غيّر طابعه الكوردي الى الـ"كوردستاني" ليكون مشرع الأبواب لانضمام سكان كوردستان من الاثنيات الأخرى اليه طوعاً، اذا شاؤوا، فاكتسب الحزب بذلك صفة البعد الجغرافي بديلا عن البعد الاثني المحدود، اما كلمة "الديمقراطي" فانها جاءت متناغمة مع الاجواء التي سادت اثر الحرب العالمية الثانية حيث تخندقت كل قوى التحرر والديمقراطية ضد نزعتي الفاشية والنازية المعاديتين للسلام العالمي والهوية القومية للشعوب.

حول مفهوم الديمقراطية

ورغم كل التحويرات التي طرأت على مفهوم الديمقراطية والتخريجات التي استحدثت لها، بقي الحزب الديمقراطي الكوردستاني في نهجه العام المنسجم مع هيكليته ومع نسيجه الفكري امينا للمفردات البنيوية الحقيقية للديمقراطية وهي

التعددية والحريات وحقوق الإنسان وتداولية السلطة والانفتاح على الآخر، ولم يكن للحزب سوى هذا الخيار رغم وهج الكثير من الأفكار التي انتعشت في المؤتمر التاسع، والتي لم تكن قادرة على استيعاب كل الوان الطيف التي يتشكل منها تركيبه وكانت قاصرة عن تمثيل كل أهدافه واتجاهاته بإعتباره قبل كل شيء حزباً جماهيرياً يتوق الى التحرر القومي وليس تكوينا نخبويا للترويج لايديولوجيا محددة بالذات.

لذا حين انعقد المؤتمر العاشر للحزب في شتاء عام ١٩٨٩ على وقع انهيار جدار برلين صوت غالبية المندوبين لصالح الهوية الوطنية والواقعية ومبادئ العدالة الإجتماعية وجرى بالتصويت إلغاء البند الخامس من المنهاج الذي كان مفاده أن الماركسية اللينينية احد المنابع النظرية لفكر الحزب، وترسخ هذا التوجه في هوية الحزب في المؤتمر الحادي عشر المنعقد عام ١٩٩٣ في القاعة الصفراء في أربيل في اجواء إحتفالية منعشة ربما لاول مرة بهامش كبير من الحرية التي توفرت للكورد في ظل تجربة "المنطقة الآمنة". الواقع أن الديمقراطي الكوردستاني تكوين اشبه ما يكون بالحركة لجهة مرونته الآيديولوجية وهيكليته التنظيمية مثل حركة فتح الفلسطينية أو حزب المؤتمر الوطني الافريقي في جنوب افريقيا.

الى المؤتمر الثاني عشر

حاليا يستنفر الحزب طاقاته وتنهمك لجانه التحضيرية لاستكمال الاستعدادات للمؤتمر الثاني عشر المزمع عقده هذا العام ولاجدال أن ملفات ساخنة تنتظر البت فيها وهي غير قابلة للتأجيل، فاضافة الى ملف السلام في كوردستان وتسريع وتيرة التنمية، واتخاذ المزيد من الخطوات لصيانة تجربة الإدارة الإقليمية وتقوية الأداء الإعلامي لدرء كل مظاهر التعتيم على التجربة الفريدة للشعب الكوردي وتقديم مساهمة حضارية جدية لتقويم وضع المرأة في المجتمع الكوردي وزحزحة النظرة الفوقية للرجل وتدشين مشروع بيئي مناسب لإصلاح مالحق بكوردستان من تدمير متعدد الجوانب، نقول اضافة لكل ذلك فان محورا مفصليا ينبغي أن يحوز على القسط الاوفر من النقاشات الموضوعية والمداولة المفضية الى قرارات حاسمة، ونعني قضية الفساد المالي في الإقليم والتي استعرضها مسعود البارزاني بالتفصيل اواسط شباط (فبراير) الماضي. فلكي يكون المؤتمر القادم نقله نوعية في حياة الحزب كما يشير قادته فان هذا الملف لابد أن يفتح مجدداً لينشر غسيله على الملأ ويطهر من الشوائب.

***

انتقال حزب العمال الكوردستاني الى العراق ماهي أهدافه وعواقبه المحتملة ؟

الشرق الأوسط ١٩٩٩/٩/١٢

جرياً على عادته في التحول السريع من النقيض الى النقيض اتخذ حزب العمال الكوردستاني قراراً دراماتيكياً بالتخلي عن الكفاح المسلح في صراعه مع الحكومة التركية والابتعاد عن العمل العسكري الذي ظل النهج الامثل في فكر الحزب منذ نشأته، وجرى تطبيقه ميدانياً على نطاق واسع في العام ١٩٨٤، حين رفع شعار الحرب التحريرية الشاملة القائمة على توظيف كل ممارسات العنف ليس ضد تركيا فحسب، بل ضد كل المختلفين معه في الآيديولوجيا وطرق العمل الوطني النضالي ضمن الوسط السياسي الكوردي، رغم كل التحولات التي طرأت على العالم في ظل النظام الدولي الجديد، حيث أصبح الحوار بين الفرقاء هو الإطار المستساغ لنزع فتيل الأزمات في بؤر توتر عديدة في العالم.

وإذا كان من المنطقي أن يجنح الحزب إلى الحل السلمي والى وسائل الكفاح السياسي- الفكري- الإعلامي والعمل لتنمية علاقات جديدة للحزب في أوروبا من اجل ردم الهوة بينه وبين اوساط الرأي العام العالمي، وتجاوز اخطائه السياسية وتفعيل مجمل آليات العمل الوطني نحو مجرى الضغط على تركيا لتليين موقفها المتشدد تجاه القضية الكوردية وتجاه ملف الديمقراطية وحقوق الإنسان، فإن ما هو غير مألوف وغير طبيعي أن يدعو حزب العمال الكوردستاني مسلحيه لترك تركيا والدخول الى الإقليم الكوردي العراقي، خصوصاً أن الإدارة المحلية في كوردستان العراق لها تجربة بالغة المرارة مع الممارسات اللاواقعية، ومع النهج الطوباوي الفوضوي الذي دأب عليه هذا الحزب في التعامل مع الإنجاز التاريخي لكورد العراق منذ عام ١٩٩٢ حين تهيأ لهم إنتخاب اول برلمان كوردي حرّ وتشكيل إدارة اقليمية ذاتية بمنأى عن الاجهزة القمعية للنظام العراقي.

إن قرار حزب العمال الكوردستاني بدفع مقاتليه الى ساحة كوردستان العراق اشبه مايكون بنزع شجرة من جذروها ومن تربتها لتجف وينتهي فيها نسغ الحياة بأسرع مايكون، لأن هؤلاء المقاتلين إذ يُنتزعون من ساحتهم الاصلية ومن شروطهم الحياتية التي تكيفوا عليها، وايضاً من أهدافهم التي عملوا من اجلها، فإنهم يتحولون الى طاقة بشرية ضائعة في الشتات لاحول لها ولا قوة.

ثم إن هذا القرار بحد ذاته يثير أسئلة كبيرة تستدعي الإجابة العاجلة قبل أن يختلط الحابل بالنابل في ساحة رمالها متحركة، ووضعها القانوني الدولي محاط بالضبابية ومستقبلها غير واضح المعالم، فمن جهة مازالت الحكومة العراقية تعتبر الوضع في كوردستان العراق "شاذاً" وهي تعمل على القنوات الإقليمية والعربية والدولية لحشد التأييد خلف شعار العودة الى المنطقة بدعوى سيادة الدولة.

ومن جهة أخرى فان إتفاقية واشنطن للسلام المبرمة بين الحزبين الكورديين الكبيرين في كوردستان العراق تراوح مكانها، وما انجزته لجان التنسيق العليا واللجان الفرعية المتخصصة بعد (٤٢) إجتماعاً لايتعدى بعض خطوات بناء الثقة ومنع الانهيار الكلي للوضع السياسي- الأمني. يضاف الى ذلك أن التحفظ الإقليمي على تجربة كورد العراق مازال يلعب دوراً في محاصرتها سياسياً ووضع العصي في طريقها لمنع مسيرتها وحجب تاثيراتها الايجابية على الكورد في الأجزاء الأخرى من كوردستان.

وسط هذه الظروف لابد لحزب العمال الكوردستاني أن يكون واضحاً في إعلان مراميه من الدخول الى المنطقة الآمنة الكوردية في العراق، هل ينوي توظيف تسهيلات العمل والحماية الدولية المتوفرة للاقليم لصالح تفعيل عمله الدعائي والإعلامي والتعبوي، ام انه ينوي لعب دور الحزب السياسي الثالث في المنطقة؟ هل يعترف بالإدارة الكوردية ام مازال منساقا وراء فكرة "الفراغ السياسي في المنطقة" التي تروج لها القوى الإقليمية؟ وما هو رأيه بتجربة كورد العراق، هل مازال يعتبرها مشبوهة ومكرسة لأغراض اجنبية، كما زعم مراراً وتكراراً في ادبياته، ام ينظر اليها كخطوة متقدمة لتجسيد تطلعات الشعب الكوردي في جزء من وطنه؟ هل سيجري مراجعة شاملة لدوره فيتحول الى عامل سلام وإستقرار ووسيط خير بين الحزبين الأساسيين في الإقليم ام يواصل نهجه المعادي لمزاج ومصلحة (٣,٥) مليون كوردي يقطنون المنطقة الآمنة ولا يمكن أن يقبلوا من اي جهة كانت، ولو كان حزباً كوردياً. أن تزيد من متاعبهم وتضاعف من همومهم الحياتية وتسرق حريتهم التي انتزعوها بتضحيات جسيمة وكفاح مديد ضد النظام العراقي الذي بزَّ الجميع في حربه العنصرية ضد الكورد ؟

هذه التساؤلات هي التي تختمر في بال النخب السياسية في المنطقة الآمنة. وهي بحاجة لأجوبة مقنعة من قيادة حزب العمال الكوردستاني، خاصة انه لم يبدل نهجه حتى بعد انعقاد مؤتمره السادس عقب إعتقال زعيمه عبدالله أوجلان، ورغم احتداد نبرة بعض الاصوات داخل الحزب ودعوتها لتدشين تغيير إنعطافي في مجمل سياسة الحزب ونسيجه الآيديولوجي وسلوكه التطبيقي، فإنها خفتت بعد حين. وجرى طرد وإعتقال بعض الكوادر بتهمة التقصير والخروج عن الضوابط الداخلية للحزب.

يرى بعض المتابعين للشأن الكوردي إن خطوة الخروج من تركيا والانتشار في المثلث الحدودي العراقي- التركي- الإيراني هي خطوة اضطرارية بعد أن فقد العمال الكوردستاني كل ملاذاته الآمنة في الدول المجاورة. فإتفاق "ادنه" بين سورية وتركيا والإتفاق الأمني بين الأخيرة وإيران افقد حزب أوجلان مواطئ قدم ظل يحتمي بها، مضافاً اليه حالة الانهيار النفسي- التنظيمي للحزب في تركيا. فإعتقال زعيمه أدى بالضرورة الى تهميش وتقزيم القرار السياسي للحزب وجعله مرهوناً بالوضع الشخصي لعبدالله أوجلان، بمعنى أن الحزب كقرار وككيان وكتنظيم دخل عنق الزجاجة لانه لم يفصل نفسه بعد حادث إعتقال زعيمه، والأخير لايمكن منطقياً أن يلعب دوراً ندّياً للحكومة التركية داخل السجن، مما يعني أن مستقبل عمل الحزب في ساحته الاصلية مصاب بالشلل، الا اذا تدارك امره بصيغة ما.

اننا نعتقد أن حزب العمال الكوردستاني لايملك الا خياراً واحداً، هو رؤية نفسه بامعان في مرآة الواقع الراهن لتعديل كل النتوءات البارزة في جسمه التنظيمي وقراره السياسي ونهجه الفكري. وعملية التقييم بالأساس ليست عيباً، بل ظاهرة حضارية ستنقذه من المأزق الذي اوقع نفسه فيه عمداً. أن انقطاع حبال العلاقة بين هذا الحزب وكل الأحزاب الكوردية والمنع الصادر بحقه في قوانين دول أوروبية عديدة، والممارسات المستهجنة التي اقدم عليها ضد كورد العراق، والتي ادت الى تهجير سكان (٤٢٨) قرية حدودية، والعنف اللامبرر ضد الفاعليات الكوردية غير المنضوية تحت لوائه في أوروبا، كلها عناوين بارزة لابد لقيادة الحزب الحالية أن تضعها نصب عينيها اذا ارادت تفعيل الوجود السياسي للحزب. وعلى صعيد آخر لابد لحزب العمال الكوردستاني أن يتناغم مع توجهات وسياسات الفصائل الكوردية الأخرى في كوردستان العراق وان يعترف بأنه واحد منها وليس بديلها، وان تشكيل جبهة قواسم الحد الادنى المشتركة امر حتمي لادارة القضية الكوردية والبحث عن حل سياسي لها في تركيا.

وبخلاف ذلك فان انتقاله الى الملاذ الآمن الكوردي في العراق لن يؤدي الا الى مفاقمة انهياراته ودورانه في حلقته المفرغة وانشغاله بجبهات جانبية تراكم خسائره المادية والبشرية، وتحدث المزيد من الشروخ في رصيده المعنوي ضمن صفوف الشعب الكوردي.

***

قناة كوردستان الفضائية تنقل رسالة شعب لا سياسة حزب

نشرت مقتطفات منه في جريدة الحياة ١٩٩٩/٩/١٥

انه لأمر يحز في النفس أن يبلغ الموقف السياسي من الضحالة حداً يفضي الى محاولة التعمية حتى على ما يحوز على إجماع الناس، ويصون مصلحتهم ويدافع عن قضاياهم المشتركة بشكل لايعلوه غبار الشك لدى ايٍّ كان، بإستثناء من كان لديه عقدة مرضية يفرج عن شظاياها الخطيرة ولو بدون مناسبة. هذا مانستشفه من رد مسعود حسن عضو رابطة المثقفين الوطنيين الكورد على السيد جهاد الخازن يوم ١٩٩٩/٩/٦ في مقال بعنوان (سياسات تركيا).

بدءً نقول أن رابطة المثقفين الآنفة الذكر هي منظمة واجهة مكبلة تنظيمياً بحزب العمال الكوردستاني وطابعها الثقافي لايمنعها من التخندق في آيديولوجية حزب لايعترف بالخطأ ناهيك عن الخطيئة حتى وهو يشهد انهياراته على كل المستويات.

لقد اقحم مسعود حسن قناة كوردستان الفضائية (Ktv) في الموضوع منتزعاً عنها صفة الوطنية والنزاهة انطلاقاً من موقف سياسي متشنج وليس بناءً على تفكير موضوعي ناضج قائم على ادلة واقعية ميدانية، لعل أبرزها المئات من الرسائل التي تتلقاها هذه القناة أسبوعياً من الجالية الكوردية في مختلف أنحاء العالم، لانها القناة التي تتحدث بلغة سليمة ومهذبة وبمنطق سليم وتتجه نحو كل الشرائح المجتمعية ولاتتخندق بين مسامات جلد رئيس حزب معين ليوظفها ساعات طويلة وثقيلة الوقع لكلامه العبثي وشتائمه الموزعة يميناً ويساراً دون أن يستثني احداً، وهذا كان ديدن قناة الـ(Medtv) الفضائية التي فقدت رسالتها الإعلامية وجمهورها ومن ثم نفسها حيث اغلقت قانونياً عن العمل وفيما بعد وضعت لها شروط وإجراءات قاسية لكي تبث من جديد وبحلة جديدة تحت اسم (MediaTv) والى ذلك فان قناة كوردستان الفضائية (Ktv) هي ظاهرة فريدة ومتميزة وغير مسبوقة في التاريخ الكوردي كأول قناة فضائية تبث من عمق كوردستان وتتنفس من رئة الوطن وتنقل نبضه الى العالم، وهي القناة التي شكلت عنصراً حيوياً وفاعلاً لرفع الحصار الفكري والتعتيم الإعلامي على ثقافة وحياة الإنسان الكوردي وقضيته التحررية العادلة. أن القناة لاتبث كغيرها من أوروبا، بل من ارضها الطبيعية وضمن ظروف متواضعة وبأموال كوردية خالصة، وكان كاتب هذه السطور في كوردستان العراق حين كانت الجهود تبذل لبناء ستوديو أكثر من

متواضع لهذه القناة الفضائية التي غدت صلة الوصل اليومية بين الإنسان الكوردي أينما كان ووطنه.

بعد كل ذلك نتساءل ومعنا عموم الجمهور الكوردي مامصلحة الأتراك في تمويل قناة بهذا التوجه، وهم لديهم من القنوات والمنابر الإعلامية مايغنيهم عن مدّ يد العون لقناة كوردية هي بمثابة المرآة لثقافة وحضارة وسياسة وفنون وأداب الشعب الكوردي.

ثم إن الكاتب يود أن يخدع القاريء العربي ويحرضه على قناة كوردستان الفضائية وهي مهمة يجدها سهلة لأن العربي لايفهم الكوردية. ولكن الكوردي القاصي والداني يجد هذا الكلام مضحكاً لأن متابعته اليومية لهذه القناة ولطريقة عرض الأخبار والتعليقات وبرامج المقابلات يجد أن (أوجلان) وغيره، بل وألد أعداء الشعب الكوردي لاتلحق بهم نعوت نابية أو صفات خارجة عن الأداء الإعلامي الموضوعي واستحقاقاته الحضارية، بعكس الـ(MedTv) التي كان التحريض رائدها والتخوين ديدنها والمهاترة الرخيصة رسالتها الإعلامية الى الناس حتى جنت على نفسها قبل أن تجني على الآخرين.

أما إذا كان قصد الكاتب أن قناة كوردستان الفضائية تستعرض العمليات التخريبية لحزب العمال الكوردستاني الذي ترك ساحته الأصلية ليقضي على هامش الحرية المتوفر لكورد العراق وتجربتهم في الإدارة الإقليمية، فانه يرتكب بذلك جناية أخرى بحق بني جلدته، لانه يدعو الى التعتيم على جرائم ترتكب بحق (٣,٥) مليون إنسان كوردي يقطنون المنطقة الآمنة في الإقليم الكوردي العراقي، فما وظيفة الإعلام اذن أن لم يؤشر لجراحات الناس ويدعو لتوفير أسباب إندمالها.

ختاماً كان على مسعود حسن أن ينضم الى قائمة المهنئين لقناة كوردستان الفضائية على الاقل لأنه عضو في رابطة تحمل لافتة الثقافة، ولكنه فضل خندق الموقف السياسي المؤدلج والضيق الأفق.

***

القضية الكوردية والأولويات الدولية

الزمان ١٩٩٩/١٢/٨

هل سيحين الوقت الذي تتجذر فيه القضية الكوردية بشكل دائمي لاموسمي فحسب، كواحدة من قضايا العصر الكبرى ضمن اجندة أولويات السياسة العالمية، بحيث تتخذ

شكل القضية المحورية التي ترسخ القناعة لدى الجميع بان حلها الديمقراطي السلمي هو الضمان الأكيد لإغناء منطقة الشرق الأوسط بالسلام الشامل والتنمية العامرة والديمقراطية القائمة على توازن مكونات موزائيكه الإثني.

يبدو أن هذا المحور الحيوي هو الذي حرض منظمة (Liberation) البريطانية لدعوة أحزاب وشخصيات كوردية وبريطانية في وقت سابق من هذا الأسبوع الى مؤتمر تداولي بعنوان مستقبل الكورد، والمنظمة آنفة الذكر تعرّف نفسها بأنها مناهضة للامبريالية والعنصرية وتهتم بقضايا العالم الثالث.

خلال المؤتمر الذي دام يوماً واحداً تحدث ممثلو أحزاب كوردستانية من كافة أجزاء كوردستان بينهم الحزبان الكورديان الكبيران من الإقليم الكوردي العراقي، الديمقراطي الكوردستاني والإتحاد الوطني الكوردستاني وممثلو هيئات ومراكز كوردستانية في أوروبا.

إنصب اجماع المتحدثين على ثوابت القضية الكوردية وكونها قضية لم تعد ولم تكن أصلاً قضية داخلية، بل انها مسألة عالمية وأوروبية بالذات، مايعني بذل الجهود على كافة الجبهات لإيجاد حل ديمقراطي سلمي وحضاري لهذه القضية القومية الشائكة والساخنة والتي يؤدي إهمالها والتنكر لها وقمعها الى تآكل المزيد والمزيد من إحتمالات التنمية والسلام والإستقرار في منطقة الشرق الأوسط الحافلة أصلاً بالتفجيرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية لأسباب عدة لعل أهمها وأكثرها حسما هو غياب الديمقراطية وغياب العقلية المدنية الحاكمة، مايعني بالضرورة تغييب الحقوق ومصادرة آفاق التقدم مقدماً وفرض الشمولية، بكافة اشكالها وتنويعاتها.

كان أمراً لافتاً أن أكثر الكورد المتحدثين اشاروا الى تجربة الإدارة الفيدرالية في كوردستان كمنجز تاريخي للشعب كوردي يفترض بالآخرين كوروداً وأجانب أن يدعموه لأن ذلك محك صدقية الأطراف الدولية الرسمية والحقوقية التي تناصر الحقوق الكوردية.

ألقى (ستان نيونز) النائب في البرلمان الأوروبي والنائب (جيرمي كوربن) و(اللورد ايفبري) ونائبه عن الديمقراطيين الاحرار كلمات داخل المؤتمر وجاءت أفكارهم ومقترحاتهم على هئية دعوة تحريضية للعالم ولكل قوى التحرر لتكثيف الإهتمام بقضية تهم شعباً مجزَّءً مازالت همومه تشكل مأساة إنسانية لابد أن يحين وقت وقفها واندمال جرحها.

فالبيان الختامي للمؤتمر اقر بان الشعب الكوردي مازال ومنذ امد طويل يتعرض الى

إنتهاك لحقوقه، وتعرضه للفقر والتنكيل والتصفية الجسدية يعني اطالة أمد بلوغ مرحلة الإستقرار في المنطقة، وناشد البيان الدول المعنية لضمان الحقوق القومية والثقافية للكورد بأكثر الآليات تحضراً وإنسجاماً، وعبر المؤتمر عن تطلعه بان تستخدم الحكومة البريطانية نفوذها داخل الإتحاد الأوروبي لاجتذاب الأمم المتحدة الى موقع الإعتراف بوجود الشعب الكوردي في كافة أجزاء وطنه وما يترتب على ذلك الإعتراف من فروض الدفاع عن حقوق هذا الشعب، وناشد المؤتمر بريطانيا للإستمرار في دعمها وحمايتها للشعب الكوردي في العراق ومواصلة تقديم مساعدات على كافة الصعد للاقليم الكوردي العراقي.

ولم ينس البيان الختامي أن يشير الى النقطة الأكثر حيوية وتأثيراً وهي تعاون وتضافر جهود الأحزاب والمنظمات الكوردية لإنجاز المهام المشتركة المنوطة بها والتي تهم عموم الشعب الكوردي بعيداً عن الحزازات والتنافرات الجانبية، فمن الصعب على العالم الذي سيدخل بعد أسابيع الألفية الثالثة أن يفهم اي تناحر كوردي-كوردي في وقت ينبغي أن تتخندق كل مكامن قوة القضية الكوردية في جبهة عريضة لجعلها ضمن أولويات القرن القادم.

ان ترجمة البيان الى واقع يحتاج الى رافعات سياسية بمستوى خطورة الاوضاع الملتهبة في المنطقة، ويدخل في أساس هذه الرافعات إرادة الوحدة الوطنية وبناء سياسات واقعية وحكيمة تأخذ بالإعتبار مصالح جميع الأطراف وتصيغ الحقوق القومية وحق تقرير المصير في أطر فاعلة وقابلة للتحقق.

***

البارزاني ليس جزءً من النظام... وتجربة كوردستان العراق... قدوة لعراق المستقبل

الترحيب بالبارزاني في لندن من قبل جميع أطراف وشخصيات المعارضة العراقية دون إستثناء هو امر أكثر من طبيعي ولاينطوي على أي شيء غير مألوف أو غريب أو أي تفسير قابل لهذا التأويل أو ذاك من التأويلات الذاتية.

فمسعود البارزاني شخصية بارزة ومحورية وهو زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي ارتبط ويرتبط اسمه تأثيراً وتأثراً بكل المنعطفات الكوردية والوطنية العراقية، لذلك فهو فعلاً "رفيق الدرب الذي تعقد عليه الآمال لخلاص العراق" كما سجل السيد

(صفوان العامري) في مساهمته في "القدس العربي" بعنوان (اذا كان هذا الترحيب للبارزاني فكيف لو جاء طارق عزيز) في ٢٠٠٠/١٠/١٤ فالبارزاني لم يتخندق يوماً في اي موقف متهور لامسؤول وكانت معارضته ومازالت قائمة على ثوابت محددة هي القواسم المشتركة لكل العراقيين، وهو لم يجنح الى الافراط أو التفريط، سواء في كرديته أو عراقيته، وهو يأخذ بحكم خياره الواقعي في السياسة مصلحة سكان كوردستان العراق وتجربتهم الديمقراطية ووضعهم الخاص بنظر الإعتبار في تحركه ضمن المعارضة العراقية، ثم انه يدعو الى الديمقراطية والى التواصل العربي الكوردي والى حقوق الإنسان وضمان حياة حرة وكريمة لكل عراقي بغض النظر عن عرقه أو دينه أو مذهبه أو منحدره الإجتماعي وهذا هو مبعث الترحيب به... ولو جاء (طارق عزيز) يوماً ما بهذه المباديء وقدم عليها الدليل العملي بأنه ملتزم بها ولو تبين أن النسيج الفكري والسياسي للنظام يشهد تغييراً إنعطافياً في ملفات حقوق الإنسان والديمقراطية والمسألة القومية الكوردية، فلاشك أن المعارضة العراقية لن تتوانى في إستقباله ضمن هذه الاطر وبهذه الشروط فهل سيكون هذا أحد ممكنات السياسة العراقية الحاكمة؟

أما القول بان صدام حسين هو رئيس العراق فأنه لايعني سوى تسمية الماء بالماء والسماء بالسماء والقول إن مابينهما هواء، فالحقيقة أمر متجسد أمام الاعين سواء رأتها العين ام إنتهجت نهج النعامة، والماء سواء كان عذاباً أو عكراً وحاملاً للكدر والقذى فهو ماء ولكن يبقى أن تظل الدعوة الصريحة والواضحة والمستمرة للتغيير قائمة لجعل النظام يستوعب حقائق العصر ويتفهم انه يعيش على الارض وليس على كوكب آخر، ولو كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني وزعيمه مسعود البارزاني وعموم الشعب الكوردي في العراق يقبل صفات الحكم المركزي في العراق كما هي لاكما نريد، لكانت آخر مفاوضات كردية مع الحكومة العراقية نجحت في ربيع عام ١٩٩١، ولكنها كما يعلم العامري وكل مطلع على الشأن العراقي انهارت على وقع رفض النظام الانفتاح على الديمقراطية ورفضه تحسين ملف حقوق الإنسان العراقي وتمسكه بثوابت غير مقبولة فيما يخص حل القضية الكوردية في العراق، اذن فإن الديمقراطي الكوردستاني ليس ابداً جزءً من النظام ولايحمل مواصفاته من حيث الطبيعة والجوهر ومن حيث النظرة الى الحكم في العراق المستقبلي، ولو كان كذلك لما استقبل مسعود البارزاني بهذه الحفاوة من قبل الوسط العراقي الوطني المعارض، ولكن هذا الأخير - وذلك بيت القصيد- يتفهم التجربة الكوردية وخصوصية وضع الإقليم الكوردي فلايحاول اقحامها فيما هي في غنى عنه من مغامرات غير مدروسة أو نهج شعاراتي

قد لايغير شيئاً بإتجاه التغيير الديمقراطي في العراق، وفي ذات الوقت يضر بالمصلحة الحياتية لنحو (٣,٥) مليون إنسان في المنطقة الآمنة في كوردستان العراق.

لذلك نبشر السيد (صفوان العامري) أن الديمقراطي الكوردستاني وعموم الشعب الكوردي في العراق ليس منحازاً الى معسكر النظام، بل هو واقع وفاعل ويتنامى حضوره المؤثر في الصف الوطني العراقي الداعي للتغيير ولجعل عراق الغد عراقاً ديمقراطياً تعددياً وفيدرالياً وحينها فقط سيقبل البارزاني أن يكون وسيطاً لإعادة العراقيين الى وطنهم الجميل بعد أن تكون تقاسيمه وتضاريسه قد خلت من الرتوش الرديئة والنتوءات الحادة واستعاد وجهه الطبيعي الحضاري.

ان قضية شائكة ومعقدة ومتقيحة ومثقلة بكل هذه التراكمات كالقضية العراقية لاتحل بأن يعفو الفاعل عن الضحية بمعنى أن يخذلها أكثر وان يجردها من آخر صفاتها الإنسانية، دون أن يضمن لهذه الضحية حتى حق البقاء، ثم ألم يكن الاجدر بـ(العامري) – وهكذا يقتضي منطق الاشياء – أن يطلب من الفاعل الحاكم أن يغير نفسه ديمقراطياً وان يعتذر عما بدر منه طوال حقب من السنين لعل الضحية تتمسك بفضيلة التسامح وتعفو عنه... ولكن بعد أن تكون الضحية ضمنت واسترجعت حقوقها... وبعد أن يكون الحاكم نزع عن نفسه ثوبه البالي المتهريء القديم.

٢٠٠٠/١١/١٩

كوردستان العراق

***

كورد وآشوريون

الزمان ٢٠٠٠/١/١٣

المتابع لاحداث الإقليم الكوردي العراقي يلاحظ هذه الأيام تصاعد وتيرة المقالات والنداءات والتعليقات التي تضع "الحالة الآشورية" في المنطقة تحت المجهر، وتفاصيل الحالة وفق بعض الأصوات تنبئ عن وجود مخطط للالتفاف على حقوق الأخوة الآشوريون، وذلك بالاستناد الى وقائع فردية أو جرائم جنائية الطابع أو إنتهاكات لحقوق المرأة تطال ايضاً المرأة الآشورية اسوة بعموم نساء المجتمع الكوردستاني، ولعل أبرزها قضية الشابة الآشورية التي قتلت في شهر أيار (مايو) من العام الماضي في ظروف غامضة، ومازالت تداعياتها تتفاعل الى الآن.

كنت اتمنى على الجميع ممن كتبوا عن هذه القضية من كورد وآشوريين أن ينطلقوا من محورها الأهم والواقعي وان لايلبسوها الطابع العنصري أو الديني عمداً وكأن الجريمة تصب في خانة اعتداء الاغلبية على الاقلية، فالمسألة تنحصر في القوانين المكبلة بالتراكمات الإجتماعية البالية التي إمّا انها تتغاضى عمداً عن حقوق نصف المجتمع تحاشياً لحساسيات معينة، أو انها مقتنعة فعلاً –دون مبررات مقنعة طبعاً– أن الانتقاص من حقوق المرأة ومن إنسانيتها امر يتناسب ومقومات تطور المجتمع وينسجم مع النظرة الفوقية، والتي يجب أن تبقى فوقية برأي البعض، للرجل كي لايفقد المجتمع توازنه.

هذا هو المنطلق لدراسة وتفسير قضية (هيلين ساوا) وغيرها من النساء اللاتي يفتقدن في غالب الأحيان الحصانة القضائية والحماية القانونية، ويتبعها الجرأة النفسية للدفاع عن حقوقهن الإنسانية داخل المجتمع وضمن مؤسساته وأمام المحاكم.

أما الذهاب بعيداً عن الواقع لإلباس هذه الجريمة الفردية –وهي شنيعة للغاية والحق يقال– طابعاً غير طابعها وتحميلها الصفة العنصرية فانه يزيد من غموض البحث عن خيوط الحقيقة ويؤذن باقحام المجتمع الكوردستاني في دوامة عنصرية مفتعلة، فحتى الإقتتال الداخلي البغيض كان يملك حسنة وحيدة هي عدم تحوله الى حرب اثنية مذهبية وبقي بالأساس سياسي الطابع، فالتسامح بين الاعراق ظل سيد الموقف في كوردستان. وثمة شهادات واقعية نورد البعض منها، يقول القس سامي بهرام المشرف على كنيسة مار گورگيس في أربيل في حديث له في١٩٩٩/١١/٢:"كوردستان العراق حافظت على أسمى نموذج للاخوة والتسامح والتعايش والحوادث الفردية التي تحدث بين الحين والآخر تشمل عموم مجتمع الإقليم الكوردي وليست حصراً على الآشوريون أو موجهة اليهم بتخطيط مسبق من الأحزاب الحاكمة".

اما حزب "بيت نهرين" الديمقراطي الدستوري فقد أعلن بإسم مكتبه السياسي في ١٩٩٩/١١/٣ إن: "الآشوريين يعيشون الى جانب اخوتهم الكورد والقوميات الأخرى في ظل الاجواء القانونية والحرية المتوفرة للجميع".

ونشرت الحركة الديمقراطية الآشورية مقالاً في صحيفتها المركزية "بهرا" أواسط تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٩٩ اكدت فيه أن الشعب الآشوري يمارس حقوقه في الكثير من جوانبها لأول مرة في ظل تجربة الإدارة الذاتية الكوردية.

هذه شهادات أدلى بها المعنيون مباشرة بالشأن الآشوري من أحزاب وشخصيات سياسية ودينية لايرقى الشك الى مبدئيتها ومصداقيتها في تمثيل الرأي العام الآشوري،